

## الفصل الثاني

### حياته وثقافته

١ - حياته ومؤلفاته

٢ - ثقافته وشخصيته

## ١ - حياة الطاف حسين حالي

ولد حالي سنة ١٢٥٣ هـ / ١٨٣٧م في حي الأنصار بپانی پت وهي مدينة تبعد ٥٣ ميلاً عن دهلي من ناحية الشمال، وهو الطاف حسين بن ايزد بخش، بن خواجه بو علي بخش، بن خواجه محمد بخش، بن خواجه غلام محمد، بن خواجه عبد السحبان، بن خواجه عبد الكريم، بن خواجه مسلم بن خواجه زين الدين أحمد، بن خواجه عبد الكافي، بن خواجه ضياء الدين، بن خواجه أبو راشد، بن خواجه أبو حامد، بن خواجه أبو تراب، ابن خواجه نصير، بن محمود بن قاضي خواجه ملك علي، ويينتسب حالي إلى أسرة الأنصار الذين جاءوا إلى پانی پت من سبعمائة عام واستقروا بها وذلك في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي وكان غياث الدين بلبن علي عرش دهلي، أما «حالي» فهو تخلصه الشعري وقد اشتهر حتى أصبح جزءاً من اسمه<sup>(١)</sup>.

وأمه هي «سيداني» من أسرة السادات المعروفة باسم «شهد اپور» وتلتقى سلسلة نسبها بالصحابي الجليل ابي أيوب الأنصاري. وكان أجداده علماء دين عظام. فكان ميرك علي شاه حاكم هراه لدونما سبب ترك ابنه ملك<sup>(٢)</sup> علي الحكم والثروة ورحل إلى الهند التي اشتهر حاكمها غياث الدين بلبن (٦٦٤ - ٦٨٦ هـ) بأنه يُكرم أسر الأشراف القديمة حتى وفد عليه كثير من أسر الأشراف وأهل العلم من إيران وتركستان، وقد

(١) افتخار صديقي: كليات نظم حالي: ج ١ ص ٢.

- إسماعيل پانی پتی: تذكرة حالي ص ١٨.

- حالي: ترجمة حالي ص ٣٣٠ (ضمن كليات نثر حالي ج ١) تاليف محمد إسماعيل پانی پتی، ونقل عن حالي كل المترجمين له، انظر: محمد إسماعيل پانی پتی: تذكرة حالي: ص ١٣، وصالحه عابد حسين يادگار حالي ص ٢٥. وقد كتبها في ديوانه بعنوان «ترجمة حالي» وفي مقالات حالي: ج ١، ص ٢٦١ وافتخار صديقي «كليات نظم حالي ج ١ ص ١ بعنوان بيان حالي». وكان حالي قد كتبها عام ١٩٠١ بناءً على طلب أحد المؤلفين الإنجليز فإرسلها له واحتفظ بصورة منها وظل يختصرها ويعيد صياغتها حتى كانت على هذه الصورة المعروفة ونشرها محمد إسماعيل پانی پتی عام ١٩٣٩م (كليات نثر حالي: ط ١، ص ٣٢٨).

(٢) خواجه ملك علي: من كبار أسرة الأنصار وكان أول من جاء منهم إلى پانی پت مع أبنائه خواجه محمد مسعود وخواجه محمد نصير الدين سنة ٦٧٥ هـ / ١٢٧٦م، وتوفي عام ٧١٨ هـ (كليات نظم حالي: ج ١ ص ٢).

حملت هذه الشهرة خواجه ملك على للسفر إلى الهند حيث كان غياث الدين يريد عدة أشخاص ليسند إليهم مهام تحصل الأموال والضرائب من پانی پت فجاء ملك على واستقر في حى الانصار المشهور حتى الآن في پانی پت وأصبحت وطننا لأجداد حالى منذ ذلك الوقت ونال أولاد خواجه ملك على امتيازات كثيرة منذ بداية عهد الدولة المغولية حتى حكام أوده واغدى عليهم سلاطين المسلمين الاموال والهبات، ويقول حالى « كان آبائى واجدادى بقدر ما أعلم لم يتولوا أى وظيفة فى دهلى ولكناو، وكان أبى أول من اختار وظيفة فى مكتب التصاريح والرخص لدى الحاكم الإنجليزى » (١).

وكان حالى أصغر أخوته، وكان أكبرهم خواجه امداد حسين وأخته الكبرى أمه الحسين والصغرى وجيهة النساء وقد أصيبت أمه (٢) بخلل فى عقلها بعد ولادته ومات أبوه ايزد يخش وهو فى الأربعين من عمره عام ١٨٤٥م، وذاق حالى مرارة اليتيم وهو فى التاسعة من عمره وانفصل عن أحضان وحنان والديه منذ طفولته وقام أخوه الأكبر خواجه امداد حسين بتربيته ويقول حالى « عندما وصلت إلى سن الرشد لم أجد من يرعانى سوى أخى واختاى » (٣)، وطبقاً لعادة أهل عصره بدأ حالى فى حفظ القرآن الكريم وهو فى الرابعة واشتهر بتجويده للقرآن على يد الشيخ ممتاز حسين (\*) وحفظ

(١) حالى . ترجمة حالى . ص ٣٣٢ .

(٢) شجرة نسب حالى من ناحية الأم هى : الطاف حسين حالى بن أمة الرسول (زوجة خواجه ايزد بخش) بنت سيد محمد شفيع بن سيد محمد أمين، بن سيد عبد الرحمن، بن سيد عبد الرحيم، بن سيد ابو القاسم، بن سيد على، بن سيد منجهو، بن سيد محمد سيد امجد، بن سيد نعمت الله، بن سيد اخوند ابن سيد حسام الدين، ابن سيد شمس الدين، ابن سيد معظم، ابن سيد مرتضى، ابن سيد نور الدين، ابن سيد مغيث، ابن سيد محمد، ابن سيد موسى مكحول، ابن سيد ابو جعفر، ابن حضرة سيد إسماعيل شهيد، ابن حضرة سيد أحمد، ابن حضرة إمام أبو القاسم إسماعيل شهيد شهد اپورى، بن حضرة سيد محمد ناطق، ابن حضرة إسماعيل ناطق، ابن حضرة إمام جعفر الصادق بن حضرة إمام أبو جعفر محمد باقر، بن حضرة الإمام على زين العابدين بن حضرة سيدنا الإمام الحسين، ابن حضرة السيدة فاطمة الزهراء بنت حضرة محمد ﷺ .

(حالى : ترجمة حالى : ص ٣٣٢ - ٣٣٣) و (حالى : كليات نظم حالى ج ٢ ص ٣) .

(٣) حالى ترجمة حالى ص ٣٣٣ .

(\*) كان من أشهر القراء الموجودين فى محلة الانصار، وجاء اسمه «ممتاز حسين» ايضاً فى كتاب شجاعت على سنديلوى - «حالى بحيثيت شاعر» ص ١٥، ولكن محمد إسماعيل پانى پتى فى «تذكرة حالى» ص ٤٤ - ٤٥، وافتخار صديقى كليات نظم حالى ج ١ ص ٤ يذكر ان اسمه ممتاز على .

القرآن في فترة وجيزة وكان يملك ذاكرة قوية حتى مدحه العلماء والقراء الكبار<sup>(١)</sup>.

وكان حالي متشوقاً للتعليم منذ صغره، ولكنه لم تسنح له الفرصة في تحصيل العلم بصورة منظمة، فبعد حفظ القرآن تعلم اللغة الفارسية على يد سيد جعفر علي الذي كان أديباً فتاً حالي بصحبته ليس في الأدب واللغة الفارسية فحسب بل بدأت تتفتق قريحته بنظم الشعر، «وبدا يتشوق لتعلم اللغة العربية وما هي إلا أيام قليلة حتى جاء الشيخ إبراهيم حسين الأنصاري من لكهنو بعد أن نال اجازة في الامامة فقرأ عليه كتب في النحو والصرف العربي» وبعض الكتب العربية، وأراد أن يكمل تعليمه وكان عمره في ذلك الوقت سبعة عشرة سنة فأرادت أسرته أن تزوجه حتى يتحمل المسؤولية مع أخيه الأكبر امداد حسين ولم تكن عنده الرغبة في الزواج لأنه يعلم أن الزواج سيحول بينه وبين رغبته في اتمام تعليمه ولكن حالي أزعج لرغبة أخيه فقد كان بمثابة أبيه فاضطر إلى الزواج حتى لا يعصى لأخيه أمراً وتزوج سنة ١٨٥٢م من إسلام النساء بنت خاله سيد مير باقر علي، وزوجته من أسرة كريمة من السادات، ولكن لم تفتقر عنده الرغبة في طلب العلم، وكانت زوجته ثرية فاغتنم حالي هذه الفرصة فلم تكن زوجته عبئاً عليه، وقرر الذهاب إلى دهلي لإكمال تعليمه وكانت دهلي مركزاً للعلوم والآداب في ذلك الوقت «ولم يكن هناك وسيلة للسفر من پاني پت إلى دهلي في ذلك الوقت سوى عربات تجرها الخيول أو الثيران، وخرج حالي متخفياً من زوجته وأهله وسافر إلى دهلي ماشياً على قدميه بدون أن يأخذ أي متاع معه وفي أثناء سفره قطع بعض المسافات في أحد هذه العربات، ووصل دهلي بعد مشقة وهو خالي الوفاض والتحق بمدرسة حسين بخش بالقرب من مسجد دهلي الجامع وكان يدرس بها الواعظ المشهور مولوي نوازش<sup>(٢)</sup> علي وبدأ في تحصيل العلم بعناء فقد كان يسكن في هذه المدرسة ولم يكن يجد ما يفترشه أحياناً ويظل الليالي جائعاً<sup>(٣)</sup>، وقد استفاد حالي من حلقات الدرس

(١) صاحبة عابد حسين: يادگار حالي ص ٢٥ - ٢٦.

(٢) نوازش علي: هو واعظ مشهور ومدرس فاضل كان يقيم في قرية هابرطی مركز كيتهل في إقليم كرنال وقد قرأ عليه السير سيد أحمد خان وكان يدرس في مدرسة حسين بخش، ويقول خواجه سجاد حسين الابن الأكبر لحالي: «في زمن إقامة أبي في دهلي كان يضع لبننة أو لبنتين كوسادة تحت رأسه وكانت تمر عليه أيام عديدة في فقر مضجع وربما لم يكن يستطيع الحصول على الطعام وبسبب هذه المحنة تدهورت صحة الوالد في شبابه وظل دائماً مريضاً».

(كليات نظم حالي: ج ١، ص ٦٠٥) و (تذكرة حالي: ص ٤٠).

(٣) صاحبة عابد حسين: يادگار حالي، ص ٢٧، ٢٨.

التي يلقيها ميان سيد نذير حسين<sup>(١)</sup> ومولوى أمير أحمد<sup>(٢)</sup> ومولوى فيض الحسن<sup>(٣)</sup>. وكان التعليم الإنجليزي قد بدأ ينتشر قليلاً في الهند في ذلك الوقت فقد كانت كلية دهلى «دهلى كالج» القديمة في أزهى عصورها غير أن حالى كان يتجاهل هذا التعليم تماماً ويقول حالى: «إن المجتمع الذى نشأت فيه كان يعتبر العلم منحصرأً فقط فى اللغة العربية والفارسية وفى البداية لم أسمع فى مكان ما ذكر للتعليم الإنجليزي وبصفة خاصة فى بانى پت ولم يكن عند الناس فى ذلك الوقت أدنى فكرة عنه سوى القدر اليسير منه بسبب خدمه الحاكم الإنجليزي ولم أحصل من هذا التعليم أى قدر»<sup>(٤)</sup>، فقد كانت أهل بلده پانى پت يعتبرون التعليم الإنجليزي بدعةً وذنباً لا يغفر ويطلقون على المدارس الإنجليزية اسم «المجهلة» أى مكان الجهل و«عندما وصلت إلى دهلى كنت أقيم فى هذه المدرسة ليلاً ونهاراً وكان الناس هناك يعتبرون جميع الطلبة والمدرسين الذين تعلموا فى هذه الكلية جهلة ولم أفكر فى التعليم الإنجليزي وبقيت فى دهلى عام ونصف وفى تلك الفترة لم أذهب لرؤية هذه الكلية ولم التق بالذين تلقوا تعليمهم فيها فى ذلك الوقت أمثال مولوى ذكاء الله ومولوى نذير أحمد ومولوى محمد حسين آزاد وغيرهم»<sup>(٥)</sup>، ولم تكن لدى حالى الرغبة فى التعليم الإنجليزي ولكنه بعد ذلك قرأ بعض الكتب الإنجليزية المترجمة للأردية.

وفى أثناء إقامة حالى فى دهلى كتب رسالة صغيرة مختصرة باللغة العربية وكان عمره ثمانية عشر عاماً وكان هذا أول مؤلف له، والمؤلف دائماً يحب أول عمل له

(١) شمس العلماء ميان سيد نذير حسين الدهلوى: كان عالم حديث مشهور بين معاصريه وكان من خيرة تلاميذ شاه عبد العزيز وشاه عبد الغنى ودرس حالى عليه الحديث وتوفى ١٣٢٠ هـ (كليات نظم حالى: ج ١، ص ٦، تذكرة حالى: ٤١ - ٤٢).

(٢) مولوى أمير أحمد السهسوانى: من أشهر العلماء والمؤلفين فى هذا العصر وله أكثر من ٢٢٠ مؤلف بالعربية والفارسية والأردية ويعتبر من الذين خدموا السنة خدمة جليلة وقد قرأ عليه حالى عدة قصائد من ديوان المتنبى وتوفى عام ١٣٠٦ هـ انظر: عبد الحمى الحسنى: نزهة الخواطر ٧٢ / ٨ والترزكلى: الأعلام ٢٤٠ / ٥.

(٣) مولوى فيض الحسن السهانبورى: كان عالم مشهور فى عصره وله ديوان شعر بالعربية وعين أستاذاً للغة العربية فى الكلية الشرقية بلاهور وكان يدرس فى دهلى فى ذلك الوقت وقرأ عليه حالى بعض الكتب. (عبد الحمى الحسنى، نزهة الخواطر ٨ / ٢٩٦).

(٤) حالى: ترجمة حالى ص ٣٣٥.

(٥) حالى: ترجمة حالى. ص ٣٣٥.

ويقدره فهو بمثابة حجر الأساس لحياته الأدبية، وفي هذا الوقت بالذات ينبغي أن يتلقى التشجيع ولكن حدث العكس فالكتاب الأول الذي كتبه حالي بمشقة واتقان ذهب مع الريح.

ويذكر خواجه غلام الثقلين هذه الرسالة في إحدى موضوعاته فيقول: « قبل الثورة بسنتين أو ثلاث كان حالي يتعلم في دهلي وفي ذلك الوقت ألف رسالة باللغة العربية يؤيد فيها مولوى صديق حسن خان بهادر في أحد القضايا المنطقية، وقد أبدى أستاذه، سخطه الشديد عليها بعد أن قرأها وقام بتخريفها وقد تألم حالي وحزن عليها، وقال الأستاذ وكان عالماً حنفيًا مشهوراً ويدرس في مدرسة حسين بخش: مع أن الرسالة قد كتبت في غاية الدقة والاتقان لكن بما أنها كانت في تأييد أحد الوهابيين فقد مزقتها»<sup>(١)</sup>. وتعد هذه الرسالة التي كتبها حالي دليلاً على مدى تمكن حالي من اللغة العربية في هذه السن فلم يكن قد تجاوز الثامنة عشرة من عمره وقام حالي في أثناء إقامته بدلهي « بقراءة شرح مسلم وملا حسن والمبيدي » على يد أستاذه نوازش على وفي ذلك الوقت بدأت العلوم والفنون والشعر في الرواج والازدهار في دهلي واشترك حالي في معظم الندوات الشعرية وفتحت قريحته الشعرية ومن حسن حظه أنه تقابل بمرزا أسد الله غالب ولم تكن أشعار غالب مشهورة في ذلك الوقت عند العامة ولكن خاصة الناس كانوا يقدرونها جيداً وكان حالي من المعجبين بأشعاره الفارسية والأردية ويبين له المعاني الشعرية الصعبة وفي ذلك الوقت بدأ حالي في نظم بعض الغزليات الأردية والفارسية على غرار طريقة الغزل القديمة عند شعراء عصره وكان يعرضها على مرزا غالب لإصلاحها(\*) وقد كان ناقداً صارماً<sup>(٢)</sup> ويقول حالي « في أثناء إقامتي بدلهي كنت كثيراً ما اختلف إلى مرزا أسد الله غالب لأسأله عن معاني أشعار ديوانه الفارسي والأردى والتي لم أكن أفهمها، وكنت أقرأ عليه بعض القصائد الفارسية من ديواني، وكان من عادته منع أكثر المترددين عليه من التفكير في نظم الشعر ولكنني كلما عرضت عليه غزلياتي الفارسية أو الأردية كان يقول لي: مع أنني لا أنصح أحداً بنظم الشعر إلا أنني

(١) صالحه عابد حسين: يادگار حالي ص ٢٩.

(\*) هذه عادة متوارثة في شعراء الأردية، فكل شاعر يتخذ له أستاذاً أو أكثر ليعرض عليه شعره في بداية نظم الشعر وكان غالب أستاذاً حالي.

(٢) صالحه عابد حسين: يادگار حالي ص ٢٩، ٣٠.

اعتقد بالنسبة لك إذا لم تنتظم الشعر فإنك سوف تظلم نفسك كثيراً<sup>(١)</sup>، ولم ينظم حالي في ذلك الوقت أكثر من «غزلية أو اثنين» فلم تسنح له الفرصة لقرض الشعر بسبب انشغاله في إكمال تعليمه، ولكن بسبب تشجيع غالب له بدأ في التدريب تدريجياً على قرض الشعر وتخلص في ذلك الوقت بـ «خسته»<sup>(٢)</sup>.

واستمر حالي في حضور هذه الندوات الشعرية التي كانت تعقد في دهلي، حتى وصل خبر وجوده في دهلي إلى أهله في پانی پت وجاء أخوه الأكبر إلى دهلي مع بعض أصدقائه وأجبروه على العودة إلى المنزل، ورجع إلى پانی پت مرغماً عام ١٨٥٥م، وترك التعليم ومكث في منزله بپانی پت عام ونصف قضاها في القراءة وولد له طفلاً في ذلك الوقت وكان أصدقاءه وأقرباؤه يصرون باستمرار على خروجه للبحث عن عمل حتى اضطر أن يترك القراءة مجبراً وخرج من بيته عام ١٨٥٦م يبحث عن عمل وفي نهاية الأمر وجد «وظيفة في إقليم حصار براتب ضئيل في ديوان مدير الإقليم» وكانت الفوضى والاضطرابات تسود الهند في تلك الفترة فقد أخذت سيطرة الحكومة الإنجليزية تزداد تدريجياً على الهنـد من ناحية ومن ناحية أخرى بدأت الرغبة في الثورة تعتمـل في صدور الناس ضد الحكومة الإنجليزية<sup>(٣)</sup>.

وفي سنة ١٨٥٧م نشبت نيران الثورة «وحدث اضطرابات وحوادث مؤلمة في إقليم حصار وتوقفت الأعمال الحكومية ورجع حالي إلى پانی پت وأمضى بها قرابة أربعة أعوام في حالة بطالة»<sup>(٤)</sup>، ويذكر سجاد حسين الابن الأصغر لحالي ملاقاه أبوه من مصاعب في أثناء سفره من حصار إلى پانی پت فيقول «لقد سلب قطاع الطرق من أبي كل شيء حتى الحصان الذي يركبه ولم يبق معه سوى نسخة صغيرة من القرآن الكريم، وعندما

---

(١) حالي: ترجمة حالي ص ٣٣٧.

(٢) صالحه عابد حسين، بادگار حالي. ص ٣٠، ويرفض الدكتور افتخار صديقي هذا الرأي ويقول: لم يتخلص حالي بـ «خسته» ويتعجب من ذكر الشيخ محمد إسماعيل پانی پتی لهذا التخلص في كتابه «جواهرات حالي» ص ٨٩، دون أن يشك في نسبه إلى حالي وقد تبعه في هذا الخطا كتاب التذاكر وبعض الكتب التي كتبت عن حالي مثل: شجاعت علی سنديلوی «حالي بحيشيت شاعر، ص ٢٥ و غلام مصطفي خان: حالي كاذهنی ارتقا ص ١١ بالإضافة إلى صالحه عابد حسين.

(٣) صالحه عابد حسين، بادگار حالي ص ٣١.

(٤) حالي ترجمة حالي ص ٣٣٦.

وصل إلى پانى پت اشتكى من مرض الاسهال بسبب عناء السفر ومشقة السير على الأقدام وعدم توافر الطعام المناسب وظل يعانى منه لأكثر من سنة حتى برأ من علته عندما سقاه طبيب پانى پت المشهور حكيم خورشيد وصفة طبية، وكانت صحة أبى قوية فى الشباب ودأب على ممارسة الرياضة البدنية ولكن المعاناة التى تكبدها فى السفر قد أثرت على صحته تأثيراً سيئاً فأصيب بأمراض الرئة والصدر والمعدة بالرغم من حذره الشديد . ومع أن پانى پت كانت بعيدة عن اضطرابات الثورة إلا أن أهلها كانوا يشعرون بالخطر لأن مدينتهم كانت قريبة من دهلى التى نشبت فيها الثورة وقد فر إليها آلاف الاسر المنكوبة وقد برهن سكان پانى پت فى هذا الوقت على المواساة الإنسانية الصادقة وفتحوا لهم أبواب قلوبهم<sup>(١)</sup> ومنازلهم وقام الطاف حسين حالى بمساعدة هؤلاء المنكوبين بقدر الإمكان وآوى بعضهم فى منزله، وقد ظلت الهند على هذه الحالة من الاضطرابات والحراب لسنوات بعد أن خمدت نار الثورة وأغلقت المدارس والكليات فى دهلى واستأصل الحاكم الإنجليزى كثير من الاسر العريقة فى دهلى وأبادهم فى ثورة انتقام ولم يوجد فى دهلى حتى دون نصب المشانق فيه . وفى ذلك الوقت بقى حالى فى پانى پت قرابة أربع سنوات متحرراً من قيد الوظيفة وقد اغتنم حالى هذه الفرصة وركز اهتمامه على تكميل تعليمه وكتب بنفسه عن حالة التعليم فقال « كنت أقرأ فى ذلك الوقت على علماء پانى پت مثل مولوى عبد الرحمن<sup>(٢)</sup>، ومولوى محب الله<sup>(٣)</sup>، ومولوى قلندر على خان<sup>(٤)</sup> بعض الكتب بدون ترتيب أو نظام فأحياناً فى المنطق والفلسفة وأحياناً أخرى فى الحديث والتفسير وعندما لم يتواجد أحد من هؤلاء العلماء فى پانى پت كنت أقرأ بنفس الكتب التى لم أقرأها من قبل وبصفة خاصة كتب علم الادب التى كنت كثيراً ما أنظر إليها بمساعدة المعاجم والشروح وأحياناً كنت أكتب نثراً

(١) صاحبة عابد حسين: يادگار حالى ص ٣٢.

(٢) مولوى عبد الرحمن: من علماء پانى پت الكبار وهو من تلاميذ شاه عبد الغنى، وله بعض المؤلفات فى المسائل الدينية وتوفى عام ١٣١٤ هـ / ١٨٩٦م، وقد كتب حالى ترجمته فى رسالة مستقلة بعنوان « تذكرة رحمانية سنة ١٨٩٦م.

(كليات نثر حالى: ج ١ ص ٣٣٦، وعبد الحى الحسنى، نزهة الخواطر ٨ / ٢٤٥، ٢٤٦).

(٣) مولوى محب الله: من أشهر مشايخ وعلماء پت وتوفى عام ١٨٦٧م (كليات نثر حالى ١٠ / ٣٦٦).

(٤) مولوى قلندر على زهيرى: كان بارعاً فى الآداب والعلوم العقلية والعقلية.

وأنظم بعض الأشعار بالعربية بدون إصلاح أو نصيحة غير أنني لم أكن لأطمئن لها فقد كان منتهى تحصيلي في الفارسية والعربية بالقدر الذي ذكرته فيما مضى<sup>(١)</sup>، وتقول سالحة عابد حسين أن الطاف حسين اختار تخلصه المشهور «حالي» في ذلك الوقت في الغالب.

وفي خلال المدة التي قضاها حالي في پاني پت ولد ابن حالي الاكبر اخلاق حسين ووهبه لأخيه امداد حسين الذي لم يكن له أولاد وعندما كان حالي يذكره فإنه يقول «ابن أخي» وولدت ابنته عنایت فاطمة أيضاً في ذلك الوقت ثم ولد أصغر أبنائه سجاد حسين في عام ١٣٧٨ هـ، وبذلك تضاعفت مسؤوليات حالي الاسرية بسبب قلة موارد الاسرة وكان عبء الأسرة بالكامل على راتب أخيه امداد حسين فترك حالي التعليم بسبب التفكير في المعاش وسافر إلى دهلي مرة ثانية للبحث عن الرزق وكانت دهلي قد خربت بفعل الثورة ولم يبق شيء من مجدها القديم، ولكنها كانت تتمتع بشهرة خاصة في الشعر والفن وجاء حالي إلى دهلي فنضج ذوقه الشعري وصقلت قريحته بسبب ترده على المحافل الأدبية والندوات الشعرية<sup>(٢)</sup>.

وفي دهلي تقابل حالي مع «نواب مصطفى خان رئيس منطقة جهانگیر آباد وكان شاعراً من الطبقة الأولى وتخلصه في الأردية «شيفته»<sup>(٣)</sup>، وفي الفارسية «حسرتی» فتعارفنا<sup>(٤)</sup>، وتصاحبنا بقيت عنده ثمانی سنوات وكان شيفته شاعراً مجيداً في الفارسية والأردية ومتدوقاً جيداً للشعر وفي البداية كان شيفته يعرض أشعاره الفارسية والأردية على مؤمن خان<sup>(٥)</sup>، وبعد وفاته كان يتشاور مع مرزا غالب وبذهابي عنده

(١) حالي: ترجمة حالي ص ٣٣٦.

(٢) سالحة عابد حسين: یادگار حالي ص ٣٤.

(٣) شيفته: هو مصطفى خان اديب بارع ولد في دهلي سنة ١٨٠٦م، وكان عالماً في العربية والفارسية وله عدة مؤلفات وتلمذ في الشعر على يد مؤمن وتذكرته في الشعر الأردی «گلشن بی خار» من أشهر كتبه وتوفي عام ١٨٦٩م (كليات نثر حالي: ١ / ٣٣٧).

(٤) كانت بداية هذا التعارف بين حالي وشيفته عام ١٨٦٣م فقد وجد نواب مصطفى خان في الشاب حالي الكفاءة والمجدارة واختاره لصحبتة ودعاه إلى جهانگیر آباد للتدريس لأولاده. (كليات نظم حالي: ٩/١) و (تذكرة حالي ص ٥٥).

(٥) حكيم مؤمن خان مؤمن: كشمیری الاصل وكان من أسرة تعمل في مهنة الطب وسكن في دهلي =

بدأت أتشوق للشعر والنثر القديم وكنت مهموماً فأصبحت نضراً مسروراً ومال طبعي لنظم الشعر بصحبته ونظمت معظم الغزليات الفارسية والأردية عند شيفته وكنت أرسل أشعاري إلى ميرزا غالب<sup>(١)</sup>، وأنا عنده في جهانگیر، وفي الحقيقة أنني لم استفد كثيراً من نصائح مرزا غالب بالقدر الذي استفدته من مصاحبة نواب مصطفى خان شيفته فقد كان يكره المبالغة في الشعر ويعتبر أن أجود الشعر ما يعبر عن الواقع بصدق وبساطة مع الالتزام بحسن العرض وتجنب الألفاظ السوقية والعبارات والأفكار العامية وذلك ما كان ينفر منه غالب أيضاً<sup>(٢)</sup>.

وقد تعلق شيفته بحالي كثيراً وشهد له بالطول في الشعر وكان يصحبه معه كثيراً إلى دهلي.

حالي وميرزا غالب: وفي الأيام التي كان فيها غالب صديقاً وأستاذاً لحالي توثقت عرى الصداقة بينهما وكان حالي في مرحلة الشباب ويتغلب عليه الاتجاه الديني فقد كان متمسكاً بالعقائد الدينية منذ صغره، وفي هذه الفترة كانت تتوارد على ذهنه أفكار الأساتذة وكان يحب غالب ويقدره ولكنه كان قلقاً مضطرباً في التفكير في نهايته وخاصة عندما رأى أستاذه رغم شيخوخته فإنه يواظب حتى الآن على شرب الخمر وأحياناً ينسى الصلاة فتالم حالي لذلك وكتب له يقول: بالقدر الذي تزداد فيه علاقتي ومحبتى لك، فإننى أتأسف دائماً على حالتك لأننا لن نستطيع أن نلتقى بعد الموت «ويوضح هذا القول مدى تعلق حالي بأستاذه لدرجة أنه يفكر في استمرار هذه العلاقة أيضاً بعد الموت وذلك في جنة الفردوس ولكن غالب بمداومته على الشراب يقطع هذا الأمل في استمرار هذه العلاقة.

وقد كتب حالي لغالب خطاباً طويلاً يؤكد له فيه على ضرورة إقامة الصلاة والالتزام: «حافظ على الصلوات الخمس كما تستطيع واقفاً أو جالساً أو بالإشارة وإن لم تستطيع

= وكان من أشهر شعراء عصره ولد سنة ١٢٣٣ هـ / ١٨١٧ م، وتوفي عام ١٢٦٩ هـ / ١٨٥٢ (كليات نثر حالي: ١ / ٣٣٨).

(١) ميرزا أسد الله غالب: أعظم شعراء الأردية على الإطلاق وبعد أمير شعرائها ويتغلب الجانب الفلسفي على شعره ولد في ١٢١٢ هـ / بمدينة أگرا وينتمي إلى أسرة عريقة، وتولى غالب مهمة إصلاح أشعار بهادر شاه ظفر آخر ملوك المغول عام ١٨٥٤ حتى ١٨٥٧، وله ديوان شعر بالأردية وأشعار فارسية رائعة وكتب كتاباً في تاريخ آل تیمور هو «مهر نيمروز».

(٢) حالي: ترجمة حالي: ٣٣٨.

الوضوء فتيمم صعيداً طيباً لكن لا تترك الصلاة». وقد وصلت لغالب الكثير من الخطابات في ذلك الوقت تنهمه بالكفر وعدم الإيمان ومعرفة الله وكان بعض هذه الخطابات يصل إلى حد السباب ولم يحفل غالب بهذه الخطابات وكان يعتبر أصحابها جهلاء لكنه صُدم وتأثر كثيراً بخطاب حالي وأبدى حزنه وألمه وفي اليوم التالي أرسل له قصيدة<sup>(١)</sup> غزل يشتكى فيها من هذه النصيحة، فأرسل حالي قصيدة<sup>(٢)</sup> يُبدي فيها أسفه وندمه على ذلك ويعتذر فيها لأستاذه غالب الذي قبل الاعتذار بدوره لأن شكواه من حالي كان أساسها الحب والتقدير كما وضَّح<sup>(٣)</sup> في خطابه، وقد ظل حالي آسفاً على هذا الخطأ البسيط في حق أستاذه طوال عمره وقد وضع ذلك في كتابه «يادگار غالب»<sup>(٤)</sup> الذي اعترض فيه كذلك على عقائد عصره.

اطلاع حالي على الثقافة الغربية: وفي سنة ١٨٦٩ م توفي مصطفى خان شيفته وبدأ حالي يفكر في كسب الرزق مرة ثانية ويقول حالي: بعد وفاة شيفته وجدت وظيفة في المكتبة الحكومية في البنجاب وكان عملي فيها هو تصحيح العبارات الأردية في الكتب الأردية المترجمة عن اللغة الإنجليزية وبقيت في هذا العمل في لاهور قرابة أربع سنوات وبدأت تنشأ بيني وبين الأدب الإنجليزي علاقة وبالتدريج بدأ يقل عندي التقدير للأدب الفارسي بصفة خاصة والآداب الشرقية بصفة عامة<sup>(٥)</sup>، وكانت لهذه الوظيفة الجديدة دخل كبير في تغيير اتجاه حياة حالي وتفكيره فقد ظل يمارس هذا العمل قرابة أربع سنوات سنحت له الفرصة كاملة للإطلاع على كتب كثيرة في الأدب الإنجليزي واللغة والنقد ووقف على كثير من موضوعاته ومعانيه وبهذه القدرة العجيبة اكمل نقص عدم القدرة على تعلم اللغة الإنجليزية، وبدأت تتفتق المواهب والأفكار الكامنة في أعماقه بشكل واضح والتي لم تهين لها البيئة الأدبية الفرصة لظهورها من قبل، فقد كان حالي يشعر بعيوب الشعر الأردى والفارسي ولكن هذا الشعور تضاعف بدراسته للأدب والشعر الإنجليزي وخاصة عندما قارن بين الشعر الأردى والشعر الإنجليزي. واتضح له عيوب الشعر في الآداب الشرقية بصفة عامة، ويعترف حالي بأن قراءته لكتب الأدب

(١) مطلعها: نواى كه شيفته وحسرتى لقب دارى.. همى بلطف توخودرا اميد داركنم.

(٢) مطلعها: نواى كه عذر فر ستاده به سوئے وهى.. سزد كه جان گرامى برآن نثاركنم.

(٣) صالحه عابد حسين: يادگار حالي. ص ٣٦، ٣٧.

(٤) حالي: يادگار غالب ص ٢١٩.

(٥) حالي: ترجمة حالي: ص ٣٣٩.

والنقد الإنجليزي قد فتحت عينيه على حقائق كثيرة وقضايا في الأدب والحياة وعرف أن الأدب وسيلة لخدمة المجتمع ومن هنا ازدادت ميوله تجاه دراسة الأدب العربي وتضاعف هذا التأثير تدريجياً فكان يستخدم في نشرة الألفاظ الإنجليزية بدون تكلف واستعمل هذه الألفاظ أيضاً في شعره في أماكن متفرقة<sup>(١)</sup>.

الندوات الشعرية في لاهور وبداية التجديد في الشعر الأردى: عندما كان حالى في لاهور، كان مولوى محمد حسين آزاد يفكر منذ فترة في تجديد الشعر الأردى وإصلاحه وفى سنة ١٨٧٤ م «حقيق محمد»<sup>(٢)</sup> حسين آزاد رغبته القديمة حينما أقام ندوات شعرية جديدة من نوعها بالنسبة للهند بإيعاز من كرنيل هالرايد مدير عام التعليم في إقليم البنجاب وفى هذه الندوات يختار الشعراء أى موضوع ينظمون الشعر حوله ويظهرون فيه أفكارهم بدلاً من تحديد مصرع معين من بيت شعر يلتزم الشاعر قافيته ووزنه وقد نظمتُ فى هذه الندوات أربع مثنويات الأولى فى موسم المطر «برسات»<sup>(٣)</sup>، والثانية فى الأمل «اميد» والثالثة فى العدل «انصاف» والرابعة فى حب الوطن «حب وطن»<sup>(٤)</sup>.

وكان حالى ينتظر هذه المناسبة فقد سئم النظم فى شعر الغزل وتركه لموضوعات أخرى جديدة، لهذا رحب حالى بهذه الندوات الشعرية الجديدة بحرارة ونظم أربع قصائد فى قالب «المثنوى» فى الندوات الأربعة التى حضرها وهذه القصائد فى غاية الرقة والجمال والعذوبة والمجازية وخاصة قصيدة «حب وطن» التى لا مثيل لها فلم ينظم أحد شعراً فى هذا الموضوع ملئاً بالحماسة والاخلاص قبل حالى. وظل حالى فى البنجاب لفترة قصيرة نائباً لمدير تحرير مجلة «اتاليق پنجاب» الشهرية التابعة لمديرية التعليم بإقليم

(١) صاحبة عابد حسين: يادگار حالى. ص ٣٩.

(٢) شمس العلماء محمد حسين آزاد الدهلوى: ابن الشيخ محمد باقر وتلميذ الشاعر إبراهيم ذوق وكان أستاذاً فى الكلية الحكومية فى لاهور وصاحب أسلوب متميز فى الأدب الأردى ومن أشهر مؤلفاته «آب حیات» و«دربار اكبرى» و«سخندان پارسی» وفى مجموعة مقالات باسم «نيرنگ خيال»، توفى عام ١٩١٠ فى لاهور بعد أن ظل مصاب بالجنون لمدة ٢١ سنة وقال حالى فى موته: «كان نهاية الأدب الأردى» هوا خاتمه اردو كے ادب كا» (كليات نثر حالى: ١ / ٣٣٩، ٣٤٠).

(٣) هذه القصيدة الأولى التى نظمها حالى فى الندوة الشعرية الأولى فى لاهور ولها اسم آخر هو «بركهارت» أى موسم المطر.

(كليات نظم حالى: ج ١ ص ١٣٦).

(٤) حالى: ترجمة حالى، ص ٣٤٠.

وفي أثناء إقامة حالى فى لاهور كتب عدة كتب نثرية كان أولها فى عام ١٨٦٧م، وهو «ترياق مسموم» وهو رد على كتاب مواطن هندى تحول إلى المسيحية كما ترجم أحد الكتب فى الجيولوجيا عن اللغة العربية والكتاب الثالث هو «مجالس النساء»<sup>(٢)</sup>، وبين فى هذا الكتاب بأسلوب ممتع وطريقة جذابة أفضل الطرق لتربية الأطفال وتعليم النساء بأسلوب قصصى شيق ولقى هذا الكتاب شهرة عظيمة فى ذلك الوقت وظل لفترة ضمن مقررات مدارس البنات فى البنجاب وقد أعطاه كرنل هالرايد مسئول التعليم فى البنجاب جائزة قدرها أربعمائة روبية فقد كان هالرايد يقدر المؤلفات العلمية والأدبية، وظل حالى فى لاهور أربعة أعوام تقريباً ولكن لم يانس بها قلبه فقد كان يحب دهلى التى أصبحت بمثابة وطنه الثانى وأحبها أكثر من وطنه الأول بانى پت<sup>(٣)</sup>، وظل طوال هذه الفترة متشوقاً لأصحابه وللصداقات العلمية والأدبية فى دهلى ولم يلائمه مناخ لاهور وأخذت صحته فى التدهور فاضطر إلى الذهاب إلى دهلى فى أواخر عام ١٨٧٤ وأوائل ١٨٧٥.

لقاء حالى بالسير سيد أحمد خان: جاء حالى إلى دهلى وعمل مدرساً فى المدرسة الانجلو عربية وظل عدة سنوات يدرس للطلبة فى إخلاص ومقدرة ولكن الاستقرار لم يكن من نصيبه فى دهلى أيضاً، فقد ولى عهد الشباب وانقضت أيامه وفتى عنده حماس الشعر العاطفى وسئم قصة البلبل والوردة وترك التفكير فى الحياة الشخصية وبدأ يهتم بمشاكل وآلام قومه فقد كان الوضع السيء الذى تمر به الهند له تأثيره القوى على قلب حالى الحساس لذلك رأى فائدة شعر الغزل فى ذلك الوضع الراهن، ورأى أن جميع ثروته الشعرية التى جمعها طيلة عشرين عاماً عبث وبلا فائدة، فامتلاً قلبه بالحماس وتلاطمت العواطف المختلفة فى صدره من أجل إصلاح الشعر والأدب الأردى وإصلاح قومه ولكنه لم يهتد بعد للطريق الصحيح ولم تتراءى له معالمه ولم يعرف فى أى اتجاه يسير، وطرات عليه حاله من اليأس والجمود وقد صور حالى هذه المشاعر التى مربها فى

(١) كليات نظم حالى: ١١ / ١ وتذكرة حالى ص ٤٠.

(٢) كانت هذه الكتب من أوائل مؤلفاته النثرية وسوف أتحدث عنها بالتفصيل عندما أتناول مؤلفاته النثرية والشعرية.

(٣) صالحه عابد حسين: يادگار حالى. ص ٤٠ - ٤١.

هذه الفترة في مقدمة المسدس ويتضح لنا بعد قراءة هذه المقدمة<sup>(١)</sup> مدى الحيرة والقنوط التي مر بها حالي في ذلك الوقت وهذا الصراع العقلي الذي سيطر على نوازعه الداخلية حتى تاه في صحراء الحيرة واليأس وكان نهاية الصراع العقلي بين حالي ونفسه عندما التقى بالسير سيد أحمد خان والذي أنقذ حالي من هذا الصراع كما أنقذ سفينة المسلمين الغارقة، وقد تأثر حالي كثيراً بلقاء السير سيد وشخصيته القومية وهدفه السامي وأصبح حالي مع السير سيد أحمد قلباً وقلباً وأوقف كل أعماله وكل نفس من سنوات عمره لهذا الهدف وبدأ في مهمة إصلاح قومه وإيقاظهم من نوم الغفلة ودلهم على السير في طريق التقدم وهذب من ذوقهم الفاسد وأخلاقهم الهابطة<sup>(٢)</sup>. ويقول حالي: «في البداية نظمت قصيدة بنفس الأسلوب الذي كان سائداً في حركة لاهور (الندوات الشعرية)، ثم شجعتي السير سيد أحمد خان وقال لي إنه من المفيد لو وضحت بالشعر حالة ضعف المسلمين الراهنة لذلك نظمت أولاً مسدس «مد وجذر إسلام» وأشعار أخرى طبعت ونشرت عدة مرات»<sup>(٣)</sup>.

وقد نظم حالي مسدسه المشهور هذا بإشارة من السير سيد نشره عام ١٨٧٩م، ومنذ ذلك الوقت بدأ حالي في الدخول في دائرة السير سيد ونفوذه وصار من معالم حركة على كُرطه وأعضاءها البارزين والمقربين للسير سيد.

وظل حالي مقيماً في دهلي هذه المرة اثنتا عشرة سنة تقريباً وفي هذه الفترة قام حالي بأعمال التأليف والكتابة فالف حياة سعدى «حيات سعدى» وبعد عام ١٨٧٥، كان يُنشر لحالي التعليقات والتعقيبات في موضوعات متعددة في مختلف المجالات وفي سنة ١٨٨٢م نشره بالفارسية تحقيقاً وتصحيحاً كتاب «ناصر خسرو» سفرنامه حكيم خسرو» مع مقدمة ويبحث في السير والتراجم وقد لاقى هذا الكتاب إقبالاً شديداً من القراء ويوجد مقدمة باللغة الفارسية مفصلة على هذا الكتاب في «ضميمه اردو وكليات نظم حالي»<sup>(٤)</sup>، التي جمع فيها حالي الشعر والنثر الفارسي والعربي، ويتضح من هذه المقدمة أن كتاب «سفرنامه حكيم خسرو» كان موجوداً في مكتبة نواب ضياء الدين أحمد حاكم لوهارو وقد جد في طلبه السيد «شيفر» أحد العلماء الفرنسيين

(١) حالي: مسدس حالي. المقدمة ص ٣، ٤، ٥.

(٢) صالحه عابد حسين: يادگار حالي. حالي ص ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥.

(٣) حالي: ترجمة حالي ص ٣٤٠.

(٤) نشرت في أغسطس ١٩١٤.

لترجمته إلى اللغة الفرنسية وقد رأى حالى هذا الكتاب هناك وأعاد طبعه ونشره بعد تعديله وإصلاحه وقد اشتهرت رواية خاطئة فيما يتعلق بحياة ناصر خسرو وأعماله فقام حالى بجمع وقائع حياة خسرو الصحيحة بعد جهد وعناء ونشر هذا الكتاب، ويعتبر هذا الكتاب من أهم جهود حالى العلمية<sup>(١)</sup>. وسوف ندرس هذا الموضوع بالتفصيل.

وفى سنة ١٨٨٦ م جاء إلى دهلى خواجه إمداد حسين للعلاج من مرضه وأقام عند حالى وظل يعالج لمدة خمسة أشهر وبذل حالى فى علاجه كل ما يستطيع ولكن باءت جميع محاولاته بالفشل نتيجة تفاقم المرضى ومات خواجه امداد حسين الاخ الأكبر لحالى والذي قام بتربيته فكان فى منزلة أبيه وقد تألم حالى كثيراً لوفاة أخيه فقد كان يحبه ويقدره وقام برثائه فى عدة أبيات مؤثرة يظهر فيها ألمه وحزنه على فراقه ويبدو منها كيفية انسياب المشاعر الفياضة من قلب حالى بدون تحكم. وفى سنة ١٨٨٧ م جاء نواب آسمان جاه رئيس حكومة حيدر آباد لزيارة على گرط ه وعرف السير سيد حالى عليه وكان آسمان جاه واقفا على شاعرية حالى وعلمه، وقد وجد حالى فى نواب آسمان جاه مثالاً للشخصية الوطنية ومثالاً للطيبة وحسن السلوك وقد تأثر به حالى وعندما انتهت زيارة آسمان جاه لعلى گرط ه اصطحب حالى معه إلى حيدر آباد وأسند إليه وظيفة الإشراف على الكتب العلمية والأدبية التى يتم تأليفها من قبل حكومة حيدر آباد وتقاضى حالى راتباً قدره خمس وسبعون روبية شهرياً وكان هذا الراتب فى ذلك الوقت يكفى حياة فرد فى معيشة متوسطة، وقد اضطر حالى أن يعمل مكرهاً فى هذه الوظيفة حتى يستطيع أن يكفل أسرته خاصة بعد وفاة أخيه الأكبر امداد حسين وقد قنع حالى بهذه الوظيفة بعد أن استقال من وظيفة دهلى وانكب حالى فى تادية خدماته العلمية والأدبية فى هدوء وسكينة<sup>(٢)</sup>. ويقول حالى عن وظيفته الجديدة فى حيدر اباد ه فى سنة ١٣٠٥ هـ (١٨٨٧ م) عندما كنت مدرسا فى المدرسة الانجلى عربية بدلهلى وذهبت فى هذه السنة إلى على گرط ه وكان الأمير سر آسمان جاه حاكم نظام (حيدر آباد) يقيم فى قصر السير سيد أحمد خان فى على گرط ه، وأثناء مروره على شمله (بلده السير سيد) لزيارة الكلية الإسلامية فى على گرط ه قرر الأمير العظيم لى وظيفة من أجل

(١) صالحه عابد حسين: بادگار حالى ص ٤٨.

(٢) المرجع السابق: ص ٤٩، ٥٠، ٥١.

مساعدة المؤلفين بخمسة وسبعين روبية في الشهر<sup>(١)</sup>، ويقول الاستاذ غلام مصطفى خان: وفي يناير ١٨٨٧م عين حالي مدرساً للطلبة في دار الإقامة (المدينة الجامعية) في «ايچيسن كالج» بلاهور ولكنه لم يأنس لذلك ولم يقض في هذه الوظيفة الجديدة سوى ثمانية أشهر حيث عاد إلى مكانه في المدرسة الأنجلو عربية بدھلي في يونيو ١٨٨٧م<sup>(٢)</sup>.

بعد ذلك عاد حالي إلى پانی پت وكان مكانه القديم في حى الأنصار ولكنه لم يرغب هذه المرة الإقامة فيه لأنه يقع في وسط المدينة ولن تسنح له الفرصة للعمل في هدوء بسبب كثرة المترددين عليه لذلك تشاور مع ابنه الصغير خواجة سجاد حسين وكان موظفاً في إدارة التعليم بالپنجاب واتفق معه على بناء منزل له في حى السادات لأنه بعيد نسبياً عن وسط المدينة وموطن أخواله وأصهاره، وفي سنة ١٨٩٦م تم بناء المنزل وكان يتكون من طابقين الأسفل لزوجته وأولاده ولطعامه والطابق الثاني (العلوى) كان لإقامة حالي مع صديقيه ملازم نانون خان وعطاء الله وللمقابلة زائريه وأصدقائه، وأقام حالي في منزله الجديد وكان أمله أن يجد فرصة يكمل فيها بهدوء أعماله العلمية والأدبية، ولكن الهدوء والسكينة لم يكونا من نصيبه بسبب كثرة الاعمال والواجبات وعلاوة على المشاكل الأسرية كان حالي يسافر كثيراً إلى مختلف مدن الهند من أجل جمع التبرعات لإنشاء كلية على گرٹھه كما شارك في العديد من المؤتمرات التعليمية والندوات العلمية والأدبية المقامة في على گرٹھه من أجل هذا الهدف<sup>(٣)</sup>. ويقول حالي: «وفي سنة ١٣٠٩ هـ / ١٨٩١ م عندما ذهبت إلى حيدرآباد برفقة السير سيد أحمد خان وباقي أعضاء لجنة أوقاف كلية على گرٹھه، وزاد راتبى إلى مائة روبية من العملة المتداولة بعد إضافة خمس وعشرين روبية في الشهر إلى راتبى وحتى الآن التقى بالحاكم شهریا، ومنذ ذلك الوقت انقطعت صلتى بالمدرسة الأنجلو عربية بدھلي»<sup>(٤)</sup>، وفي هذه الفترة كتب حالي «مقدمة شعر وشاعرى» و«حيات جاويد» و«يادگار غالب» وفي أغسطس من عام ١٩٠٠م، ماتت زوجته بمرض الكوليرا فجأة وكانت زوجته وفيه

(١) حالي: ترجمة حالي ص ٣٤٣.

(٢) غلام مصطفى خان: حالي كاذھنى ارتقا ص ١٠٥ - ١٠٦.

(٣) صالحه عابد حسين: يادگار حالي، ص ٥٢، ٥٣.

(٤) حالي: ترجمة حالي ص ٣٤٤ وبهذه الفقرة تنتهى سيرة حالي الذاتية كما كتبها هو بنفسه.

وكريمة ولم يقع بينهما وبين حالى خلاف فى حياتهما التى دامت نصف قرن تقريباً، وقد وفرت الجو المناسب لحالى من أجل إنجاز أعماله الأدبية وكان حالى يذكر زوجته فى معظم خطابه ومن قراءة هذه الخطابات يتضح لنا مدى تقدير حالى لزوجته .

وقبل وفاة زوجته بمدة قصيرة لا تتجاوز العامين توفى صديقه ومرشده العزيز السير سيد أحمد خان الذى كان يحبه ويقدره وكانت وفاته صدمة كبيرة لحالى غير أن حالى لم يياس من حياته لموت هذا الصديق وواصل أعماله بإيمان راسخ وانتهى عام ١٩٠١ م من تأليف وترتيب كتاب « حيات جاويد » فى ألف صفحة تقريباً وبين فيه أعمال السير سيد الخالدة وكان بداية لشهرة حالى فى هذا النوع الادبى المعروف بأدب التراجم أو السيرة الغيرية .

وكان حالى بطبيعته يحب الوحدة والعزلة وينفر من الشهرة والظهور والتفاخر وكانت لخدماته العلمية والأدبية هذا القدر من الأهمية بحيث مدحها الجميع واعترفوا بفضله<sup>(١)</sup>. وفى سنة ١٩١٤ م منحته الحكومة لقب « شمس العلماء » تقديراً لخدماته الجليلة دون أن يسعى لهذا اللقب الذى كان موقوفاً على العلماء والأفاضل والعظماء من الناس واحتفل فى جميع الدوائر العلمية والأدبية بهذه المناسبة وانهالت خطابات التهنئة على حالى من جميع أطراف الهند واكتانفها وكان على رأس هذه الخطابات خطاب العلامة شبلى النعمانى الذى يقول فى إحدى جملته « أنا لا أهنتك أنت على هذا اللقب ولكن أهنىء لقب شمس العلماء فقد نال هذا اللقب الشرف والعزة بك »<sup>(٢)</sup>، ويتضح من هذا الخطاب مدى احترام شبلى النعمانى لحالى على الرغم من أنه كان أكثر من اعترض على حالى ونقد كتاب « حيات جاويد » نقداً شديداً وقرر أنه مدح مبرهن ومدلل للسير سيد .

وبدلاً من إحساسه بالسعادة والسرور بعد أن حصل على هذا اللقب ارتبك حالى وأحس بالقلق لأن الشخص الذى يمنح لقباً من قبل الحكومة فى ذلك العصر كان يحضر فى كل الحفلات الرسمية فى كل بلاط ويستقبل بحفاوة من الحكام والأمراء ويمشى مرفوع الرأس بين الناس وهذه الصفات كان حالى ينفر منها وقد كتب لابنه سجاد حسين

(١) صالحه عابد حسين: بادكار حالى ص ٥٤، ٥٩، ٦٠ .

(٢) افتخار صديقى: كليات نظم حالى ج ١، ص ١٧ .

فى هذا الصدد: « بالرغم من أننى نلت هذا التقدير من قبل الحكومة وأضع ذلك فى عين الاعتبار غير أننى اعتبره نعمة، فانت تعلم أننى كنت دائماً بمعزل عن هذه المناسبات ولم ألتق قط بأى حاكم أو ضابط بيد أنه من الآن عندما يأتى أى حاكم إقليم فى پانى پت أو يتغير نائب حاكم المديرية، لا مفر من أن أذهب إليه»<sup>(١)</sup>.

وفى سنة ١٩٠٥ م دعى حالى لحضور الاحتفال بمرور أربعين سنة على حكم نظام حيدر اباد وذهب حالى إلى حيدر آباد بالرغم من مرضه وشيخوخته وظل هناك ستة أشهر حتى ٧ يونية ١٩٠٦م<sup>(٢)</sup> وقد التقى هناك بكثير من أهل حيدر آباد وعندما عاد حالى من هناك قدم كلمة شكر لأهل حيدر آباد أظهر فيها حبه العميق لهم وهذه الكلمة مطبوعة على الحرير وفيها قدم شكره لأهالى حيدر آباد على حسن كرمهم وتبرعاتهم للدولة وذكر لهم أن عليهم ألا يعملوا من أجل منفعتهم الشخصية بل يجب أن يعملوا لصالح رفاهية المجتمع وذكر لهم أن جميع مؤلفاته تغص بالمعانى السامية فى حب الوطن ورفاهية الجميع من « مجالس النساء » وحتى « حيات جاويد » ومن « مسدس مد وجزر » إلى « جب كى داد »<sup>(٣)</sup> ونظم حالى أثناء إقامته فى الدكن نظمه المشهور « جب كى داد » والتي ألقاها فى إحدى الحفلات تحت رعاية المهراجا سر كشن برشاد<sup>(٤)</sup>. وقد تعلق حالى بأهل حيدر آباد حتى بعد عودته وفى سنة ١٩٠٨ تعرضت حيدر آباد لسيل طاعنى حطم آلاف المنازل وعندما سمع حالى هذا الخبر ظل مضطرباً وأرسل العديد من الخطابات باسم صديقه الشاب عبد الحق (مولوى عبد الحق) ليستفسر عن سلامة كل واحد منهم وتأثر تأثراً شديداً بالمنكوبين فى حيدر آباد.

عاد حالى إلى پانى پت ببلدته ولم يكن بها حتى ذلك الوقت مدارس انجليزية على الطريقة الحديثة فى التعليم وليس بها أى مكتبة يستطيع أهل العلم والأدب أن يطلعوا على كتبها أو يستعيروا منها ما يحتاجوه من كتب وقد أحس حالى بهذا النقص فقام فى سنة ١٩٠٥م بجمع التبرعات المالية من أهل مدينة پانى پت وكان يريد أن يبنى مدرسة

(١) صالحه عابد حسين: يادگار حالى ص ٦١، ٦٢.

(٢) صالحه عابد حسين: يادگار حالى ص ٦٢، ٦٣.

(٣) صالحه عابد حسين. يادگار حالى ص ٦٢، ٦٣.

(٤) غلام مصطفى خان: حالى كاذهنى ارتقا ص ٢١٣.

ولهذا أقام بها مكتبة فى وسط بانى پت وجمع فيها كتباً كثيرة من أصدقائه وتقول  
صالحه عابد حسين إن هذه المكتبة كانت قائمة حتى عام ١٩٤٧ والآن الله أعلم هل ما  
زالت موجودة أم خربتها يد الزمان وصروف الدهر وعلى الرغم من عدم تحقيق رغبة حالى  
فى إقامة المدرسة فى ذلك الوقت إلا أن حالى أقام مدرسة للبنين بعد عدة سنوات بجهود  
خواجه سجاد حسين وتطورت هذه المدرسة حتى أصبحت مدرسة عليا واشتهرت باسم  
مدرسة حالى الإسلامية العليا وقد خُربت هذه المدرسة بسبب التعصب فى حوادث عام  
١٩٤٧<sup>(١)</sup>.

بعد ذلك أخذت عينا حالى فى الضعف ولكن كثرة العمل لم تهينى له الفرصة  
للاهتمام بعلاجهما فقد أصيبت إحدى عينيه بالمياه الزرقاء ومنع بسببها من القراءة  
والكتابة وصمم سبط حالى خواجه غلام السبطين وحفيدته مشتاق فاطمة زوجة غلام  
الثقلين على أن يأتى حالى إلى لكانا لإجراء عملية فى عينه ولكن حالى رفض هذا  
العرض فلم يكن يريد أن يشغل عليهم بالضيافة والتمريض وانقضت أيام كثيرة فى أثناء  
ذلك الوقت بدأت عينه الأخرى فى الضعف وذهب لإجراء عملية فى عينه فى مستشفى  
راجندر وكان حالى مثقلا بالديون فى تلك الفترة ونشر له كتاب «حيات جاويد»  
وازدادت ديونه بسبب هذه العملية، وبدأ حالى فى القراءة المعتادة غير أن عينه لم تصبح  
سليمة تماما وبعد فترة قصيرة أصيبت عينه الأخرى بالمياه الزرقاء وفى مايو ١٩١١م ذهب  
حالى إلى لكانا لإجراء عملية فى عينه الأخرى<sup>(٢)</sup>.

وفى سبتمبر ١٩٠٧م اختير رئيسا للدورة السنوية للمؤتمر التعليمى لعموم مسلمى  
الهند الذى عقد فى كراچى وتعجب حالى بسبب هذا الاختيار وكتب إلى ابنه خواجه  
سجاد حسين يقول له بتواضع «لقد اقترحت اللجنة المحلية فى كراچى واللجنة المركزية  
فى على كراچى تنصيبى رئيسا على سبيل الخطأ لدورة كراچى وكثيراً ما كنت أرفض  
ذلك ولكنى مضطراً لا أرفض هذه المرة» وفى ٢١ ديسمبر ١٩٠٧م سافر حالى وهو فى  
الثالثة والسبعين من عمره إلى كراچى وكان بصحبه خواجه غلام الثقلين وخواجه غلام  
السبطين ونواب وقار الملك والعقيد سيد حسن وآخرين ووصلوا كراچى يوم ٢٣ ديسمبر

(١) صالحه عابد حسين: يادگار حالى ص ٦٤، ٦٥.

(٢) صالحه عابد حسين: يادگار حالى ص ٦٧، ٦٨، ٦٩.

والقى حالى خطبة الافتتاح وحث حالى فيها قومه على تحصيل العلوم والفنون المختلفة وأخبرهم أيضا بأهمية الحركة الوطنية ويقول حالى فى هذه الخطبة: «إن تعليم الجامعة الحالى ليس كافيا لتقدم المسلمين بل من الضرورى أيضا أن تأخذ بناحية كل فروع المعرفة وأن نتقدم فى هذا السباق إلى الأمام وأنا من جانبى أشارك فيه بكل طاقتى وإلا فسوف نتخلى إلى الأبد وفى زمن قريب جداً ليس فقط عن عزتنا وكرامتنا بل كذلك عن بقائنا ووجودنا» ثم قال بعد ذلك يجب الاهتمام بالحرفة والصناعة كذلك وكان حالى على حق وتفكيره سديداً لأن أكثر قومه من المسلمين لم يعتنوا بالصناعة والحرفة ولم يحتضنوا الحركة الوطنية بشكل كامل وكانت النتيجة هى عجز الدولة وتخلفها فى المجال الاقتصادى.

وبدأ حالى فى ذلك الوقت بكتابة «آل نامه» وهو نموذج فكاهى ساخر وللأسف لم يستطع أن يتمه، وينقد فيه تعصب كل فرقة ومذهب ويعترض على صفات حب الذات والحماسة والجهل وغيرها بطريقة ساخرة لا مثيل لها ويتضح منها بشكل كامل دقة نظر حالى وقوة عقليته فى هذا العمر المتأخر. وكانت رغبة حالى القوية أن تتهياً له الراحة والهدوء فى آخر أيامه حتى يستطيع أن ينجز أعماله المتبقية فى ذهنه فكان يريد ترتيب أشعاره العربية والفارسية وكتابة كتاب فى التذكير والتأنيث فى اللغة الأردية وكتابة قصة أو مسرحية قيمة باللغة الأردية علاوة على ترجمة قصة أو مسرحية شهيرة عن اللغات الأجنبية الأخرى تستخدم كنموذج فى اللغة الأردية، ويقول مولوى عبد الخالق؛ إن حالى كان يرغب فى كتابة مسرحية أو قصة وكان يتراكم فى ذهنه أعمال قيمة كثيرة لكن المرض والشيخوخة والمشاكل المنزلية حالت دون إنجاز هذه الأعمال.

وفى سنة ١٩١١م دعاه مولوى عبد الحق بإصرار شديد إلى اورنگ آباد حيث الطقس الرائع والبيئة المناسبة له لكى يستطيع أن ينجز أعماله ولكنه اعتذر له عن تلبية الدعوة لمرضه وشيخوخته وفى طريقه للبحث عن الهدوء ذهب حالى ليقيم عند صديقه لياقت حسين فى فريد آباد ومكث عنده من أكتوبر حتى ديسمبر سنة ١٩١٢م وهناك رتب أشعاره الفارسية والعربية التى طبعت بعد وفاته، وأرسل حالى خطاباً لصديقه تصدق حسين فى ١٧ مايو ١٩١٣ من فريد آباد أى قبل وفاته بعام ونصف ويبدو منه أنه لا يأمل أن يبقى حياً أكثر من ذلك فقد سئم الحياة وكان يريد أن ينجز أعماله المتبقية

بسرعة على الرغم من مرضه وشيخوخته .

وفى فريد آباد أيضا لم يجد حالى الفرصة للعمل بإطمئنان بسبب تردد الناس عليه للاستمتاع ببقائه ليلاً ونهاراً وضاعت معظم أوقاته وتدهورت صحته وأصيب بعدة أمراض مثل الزكام والربو والانفلونزا والبيواسير وقد لازمته هذه الأمراض باقى عمره، وفى آخر عمره ضعف بصره ووهنت أسنانه وأثرت على أعصابه وقد اشتكى حالى فى خطاباتة أكثر من مرة من مرضه غير أن هذه الشكوى تاتى عرضاً وبأسلوب مختصر جداً وكتب حالى ذات مرة لابنه خواجه سجاد حسين بعد أن سمع بخبر مرضه « إن هذه الامراض تزداد بسبب غفلتى وعدم اهتمامى فأحيانا لا أخذ العلاج بانتظام وبدأت الدورة الدموية فى الاضطراب . ولا اهتم كثيراً بالغذاء لكن يجب أن تأخذ منى النصيحة فجميع محاسن الدنيا والدين متوفرة للأصحاء أما المريض فيستوى عنده الوجود والعدم » وينصح حالى ابنه بالمحافظة على صحته فيقول له : « تناول الطعام سريع الهضم والغذاء الخفيف وكل قليلا ثلاثة أو أربع مرات يوميا واشرب الماء المصفى وداوم على المشى ميلين أو ثلاثة أميال فى وقت معتدل » .

وعلى الرغم من الأمراض الكثيرة التى كان حالى يعانى منها إلا أنه كان يتبع أساليب الحيلة والحذر والنظام فى حياته وظل رغم ذلك العف المستمر فى إنجاز أعماله وخدماته العلمية والأدبية طيلة سنوات عمره الثمانين تقريبا وحتى قبل وفاته بعدة أشهر كان يسافر ليحل المشاكل الأسرية بين الناس ويصوم ويحافظ على جميع حقوق الله، وقبل وفاته بشهور قليلة تأثرت أعصابه وفقد القدرة على الكلام إلا أنه كان يفهم الكلام الذى يدور حوله وترتسم على وجهه ابتسامة خفيفة ويبدو فى عينيه الإدراك والفهم لكن لا يستطيع الرد، وفى ٣١ ديسمبر ١٩١٤م فاضت روحه الطاهرة وودع هذا العالم الفانى بعد أن وضع الأساس للشعر الأردى الحديث ونال منزلة الإمامة فى النقد الأدبى وحكى قصة تقدم المسلمين وتأخرهم فى مسدسه .

قبر حالى : ودفن حالى فى قبر جميل من حجر المرمر على شاطئ حوض فى السور الخارجى لصحن زاوية أبو على قلندر صاحب بيانى پت<sup>(١)</sup> .

(١) صاحبة عابد حسين : يادگار حالى ص ٦٧ - ٧٤ .

ويقول الشيخ محمد إسماعيل پانى پتى : يجب أن أصحح خطأ هنا فقد كتبت  
صالحه عابد حسين فى كتابها « يادگار حالى » نام حالى بسلام فى قبر جميل من حجر  
المرمر، ونقل عنها الدكتور شجاعت سنديلوى فى كتابه « حالى بحيثيت شاعر » مع أنه  
فى الحقيقة مدفون على إحدى المصطبات بجواره قبور أخرى وليس من حجر المرمر  
ومثبت عليه نصب من الحديد وهذا القبر ليس عليه أى لوحة أو علامة والعلماء من الناس  
فقط هم الذين يعرفون أن هذا هو قبر حالى (١).

---

(١) محمد اسماعيل پانى پتى : كلييات نثر حالى . الجزء الاول ص ٣٤٥ .

## مؤلفات الطاف حسين حالي

أولاً: مؤلفاته النثرية:

كانت هناك بعض النماذج النثرية فى الادب الاردى قبل حركة على گرطه وتتميز هذه النماذج بالبساطة والصفاء فى الاسلوب مثل مؤلفات كليه وليم فورت وكليه دهلى وخطابات مرزا غالب ومقالات مجلة «محب هند» وتراجم شمس الامراء، لكن بعد ثورة ١٨٥٧م أخذ النشر الأردى طابعاً جديداً تحت تأثير العلوم والفنون الغربية الجديدة وحركة على گرطه. ويقول افادى: إذا لم يكن قد كتب أى تاريخ للادب الأردى فإن القرن التاسع عشر يعتبر مهدياً جديداً وبداية لحركة البعث فى الادب الأردى، ففى هذا العهد وصل النشر الأردى إلى درجة الجودة بجهود السير سيد أحمد خان والطاف حسين حالى ومحمد حسين آزاد ونذير أحمد وشبلى النعمانى، وتطور النشر الأردى بإسهامات هؤلاء العناصر الخمسة واجتازت اللغة الأردية مراحل التطور بفضل مؤلفاتهم. وكان لحالى منزلة هامة بين هؤلاء الأدباء بسبب مؤلفاته النثرية التى تتميز بالبساطة والصفاء وعلى درجة عالية من الجودة الفنية من الناحية الأدبية وهذه المؤلفات تعتبر حلقة أساسية فى دراسة التطور الفكرى فى مؤلفات حالى النثرية فى الفترة الاولى من حياته، غير أن هذه المؤلفات الاولى لم تحدث أى تغيير من ناحية الموضوع لأنها تناول الامور الدينية والمسائل الأخلاقية<sup>(١)</sup>.

ويعتبر حالى من كتاب النشر المرموقين فى الادب الأردى وقد ساهمت مؤلفاته النثرية فى تطور النشر الأردى ولا تقل مكانة فى النشر عنها فى الشعر وتميزت كتاباته النثرية فى المرحلة المتأخرة بالخيال الشعرى لكونه شاعراً. وقد ترك حالى مؤلفات كثيرة فى النشر فى موضوعات مختلفة ويمكن تقسيمها من ناحية الموضوعات إلى خمسة أقسام:

١ - مؤلفات دينية: وهى معظم ما ألفه فى المرحلة الاولى من حياته (١٨٥٥-١٨٧٢م) وتتميز بالطابع الدينى والدفاع عن الإسلام فى وجه المبشرين المسيحيين وإثبات النبوة والوحى ومناقب الرسول الكرم وهى: (١) رسالة فى تأييد الامير صديق حسن خان. (٢) مولود شريف. (٣) ترياق مسموم (٤) تاريخ محمدى

(١) عبد القيوم: حالى كى ارد ونترنگارى. ص٦٠.

« منصفانه ريك - ( ٥ ) شواهد الإلهام (١) .

٢ - مؤلفات في الأدب واللغة: وهي (١) أصول فارسي (٢) مجالس النساء .

٣ - مؤلفات في التراجم والتاريخ: وهي (١) حيات سعدى . (٢) حيات جاويد (٣) يادگار غالب . (٤) تذكرة رحمانية . (٥) حالات حكيم ناصر خسرو .

٤ - كتاب في علم طبقات الأرض: وهو مبادئ علم الجيولوجيا .

٥ - كتاب في نقد الشعر: وهو «مقدمة شعر وشاعري» .

وإلى جانب هذه المؤلفات كتب حالي العديد من المقالات في المجلات المختلفة والجرائد وكانت تنشر له من وقت لآخر وهي في موضوعات متعددة، وكان ينقد فيها الكتب الدينية والتاريخية والمجلات التي كانت في عصره وقد قام الشيخ محمد إسماعيل پاني پتي بجمع هذه المقالات إلى جانب المحاضرات والخطب التي القاها حالي في مناسبات مختلفة ورتبها حسب الموضوعات في جزئين بإسم «كليات نثر حالي» (٢) ونشرها في لاهور عام ١٨٦٧ . كما قام مولوى سيد وحيد الدين سليم پاني پتي بنشر مجموعة من مقالات حالي سنة ١٩٠٢م بإسم «مضامين حالي» ولكن هذه المجموعة غير كاملة . وقامت بعد ذلك جمعية تطوير اللغة الأردية «أنجمن ترقى اردو» بترتيب ونشر جميع مقالات وتعليقات حالي في جزئين بإسم «مقالات حالي» (٣) .

وفي سنة ١٩٢٤م قام الشيخ محمد إسماعيل پاني پتي بجميع مجموعة ضخمة من رسائل حالي وقام بترتيبها في كتاب بإسم «مكاتب حالي» (٤) . وفي سنة ١٩٢٥م قام خواجه سجاد حسين الابن الاصغر لحالي بنشر رسائل حالي في كتاب بإسم «مكتوبات حالي» وذلك في «مطبعة حالي» بپاني پت (٥) .

وبالإضافة إلى ذلك هناك بعض الكتب الأخرى التي لم يستطيع حالي أن يكملها في حياته وهي :

١ - رسالة في التذكير والتأنيث في اللغة وقواعدها (٦) .

(١) هذه الكتب متوفرة لدينا الآن وقد اعتمدت في وصفها على ما جاء في كتب تواريخ الادب الاردى .

(٢) طبعة مجلس ترقى ادب . لاهور .

(٣) افتخار صديقى . كليات نظم حالي . ١٥/١ .

(٤) معين الدين عقيل : تحريك آزادى مين اردو كا حصه ص ٧٩٣ .

(٥) صالحه عابد حسين : يادگار حالي . ص ٣١٣ .

(٦) محمد إسماعيل پاني پتي : كليات نثر حالي : ٤٣٧/١ .

۲- آل نامه: وهى نموذج فكهائى ساخر، يضيف فيه حالى الف ولام التعريف على بعض الكلمات العربية والفارسية لتعطى معنى جديداً يعترض فيه حالى على تعصب الأديان والفرق والجهل والحماقة وغيرها من الصفات. وفيما يلي نماذج منها:

المذهب: اعلان جنگ: اعلان الحرب

الدين: تقليد آبا واجداد: تقاليد الآباء والاجداد

العلم: قسم از جهل مركب: نوع من الجهل المركب

الامتحان: آزمائش لياقت ممتحنان: امتحان لصلاحية الممتحنين.

اليونيورستى: كارخانه كلرك سازى: مصنع لصناعة الكتبه الحكوميين.

المسلمانان هند: چون مارگزیده از ريسمان ترسند گان: مثلهم كمثل من تلدغه الحية يخاف من الحبل.

العلی گر طه پاری ط: شهيد وفا: شهيد الوفاء.

العلی گر طه کالج: پرورش گاه طفلان بدست مائندران: مكان لتربية الاطفال على يد المربين.

الانجمن های إسلامية: سبزه برشگال: خضرة أيام المطر.

الاتفاق در مسلمانان: چون اجتماع در نقيضين: مثلهم كمثل الجمع بين النقيضين.

الرئيس: آن که از رياست - خير باشد: الذى لا يعرف شيئاً عن أمور الرئاسة.

الامير: آن که تهى دست وقرض دار باشد: هو خالى الوفاض ومدنياً.

المولوى: آن که مسلمانان را از دائرة اسلام خارج مى کرده باشد: من يطرد المسلمين من دائرة الإسلام.

الواعظ: آن که در تفريق بين مسلمانان خطا نه کند: الذى لا يخطيء فى التفريق بين المسلمين.

الشكار: بنهانه آدم كشى: عذر قتل الإنسان.

الكميشن: وجه موجه برائى فيصله يك طرفه: الشئ المنحاز لطرف واحد<sup>(۱)</sup>.

(۱) محمد إسماعيل پانى پتى: کلیات نثر حالى: ج۱. ۴۹۵-۴۹۶.

– النيشنل كانغريس: درحق تعليم هند چون بغاوت ۱۸۵۷م در حق أسلحة أهل هند: مثله فى حق التعليم الهندى كمثل ثورة ۱۸۵۷م فى حق أسلحة الهنود.

وتقول صالحه عابد حسين «كان حالى يرغب فى كتابة قصة أو مسرحية قيمة باللغة الأردية أو يقوم بترجمة قصة أو مسرحية شهيرة من اللغات الأجنبية إلى اللغة الأردية تستخدم كنموذج لهذين الفنانين فى الأدب الأردى، ويقول مولوى عبد الحق: من المعروف أن حالى كان يرغب فى كتابة مسرحية وكان يجول بخاطره أعمال كثيرة قيمة ولكن الشبخوخة والمرض والمشاكل الأسرية لم تمنحه أى فرصة لانجاز هذه الأعمال<sup>(١)</sup>.

وكتب حالى معظم مؤلفاته باللغة الأردية ما عدا أول رسالة ألفها فى تأييد نواب صديق حسن خان فقد كانت باللغة العربية وقد مزقها استاذة نوازش على لخلاف مذهبي بينهما وبذلك ضاع أول مؤلف حالى نتيجة للتعصب الدينى ويبدو من هذه الرسالة مدى قدرة حالى على التأليف باللغة العربية وهو فى هذه المرحلة المبكرة من عمره فلم يكن قد تعدى الثامنة عشر عاماً، كما قام حالى بترجمة أحد الكتب من العربية إلى الأردية وهو «مبادئ علم الجيولوجيا» تأليف سير تشارلز ليل، وكتب بالفارسية تحقيق كتاب «سفر نامه حكيم ناصر خسرو». وبالإضافة إلى ذلك ترك حالى مجموعة من المقالات فى النشر بالعربية والفارسية وقام حالى بترتيبها وجمعها قبل وفاته، وطبعت بعد وفاته بعدة أشهر فى أغسطس ۱۹۱۴ مع اشعاره الفارسية والعربية باسم «ضميه اردو كليات نظم»<sup>(٢)</sup>.

(١) صالحه عابد حسين: يادگار حالى. ص ۹۹.

(٢) محمد إسماعيل پانى پتى: كليات نثر حالى: ۱/ ۳۴۳.

## ١ - مؤلفات حالي الأولية

### ١ - مولود شريف :

أى المولود الشريف وهو سيدنا محمد ﷺ وهو أول كتاب نثرى لحالى كتبه فيما بين الأعوام ١٨٦٤م و ١٨٧٠م وطبع هذا الكتاب لأول مرة باهتمام خواجه سجاد حسين ابن حالى وكتب مقدمة له ونشر فى « مطبعة حالى » بپانى پت، ويبدأ هذا الكتاب بالحمد والثناء للخالق عز وجل وذكر نعمه الكثيره وشكره عليها والاعتراف بالعجز البشرى أمام قوة الله وعظمته وذكر صفات الله، ثم يذكر حالى بعد ذلك صفات الرسول ومناقبه بإسلوب سلس يعدد فيه صفات الرسول مثل الكرم والأسوه الحسنه والحب والعفو عند المقدره والفقر والشفاعة ويتحدث عن ولادة الرسول والمعجزات التى أتى بها يوم ميلاده مثل تصدع ايوان كسرى وخمود نار المحوس وغور المياه فى بحيرة ساوه بايران ثم يتناول - معجزات النبوة، واسلوب حالى فى هذا الكتاب شبيه بالكتب الراضجة فى عصره آنذاك - التى تناولت هذا الموضوع مثل كتاب « مولود أكبر » وقد كرر حالى فى هذا الكتاب ما جاء فى كتب السيرة النبوية<sup>(١)</sup>، وفى نهاية الكتاب مناجاة نثرية غاية فى القوة والعذوبة وهى أفضل من المناجاة الشعرية<sup>(٢)</sup> وهذه المناجاة موجودة فى مقالات حالى<sup>(٣)</sup> ويحتوى هذا الكتاب على ٩٨ صفحة ولغته تقليدية قديمة ويستعمل حالى فيه كلمات فارسية وعربية كثيرة بطريقة تمثيلية يتغلب عليها الجانب العاطفى والعقيدى وقد رجع حالى فى هذا الكتاب إلى الانجيل والتوراه<sup>(٤)</sup>.

### ٢ - ترياق مسموم :

« الدواء السام » وهو ثانى مؤلفات حالى النثرية وقد كتبه عام ١٨٦٧م رداً على كتاب القس المرتد عماد الدين<sup>(٥)</sup> « هدايت المسلمين » والمعروف أيضاً باسم « تحقيق

(١) عبد القيوم : حالى كى اردو نثر نگارى ص٦١، ٦٢ .

(٢) غلام مصطفى خان : حالى كاذهنى ارتقا ص١٥ .

(٣) حالى : مقالات حالى : جلد اول ص١-٣ .

(٤) عبد القيوم : المرجع السابق ص٦٣ .

(٥) كان عماد الدين من سكان پانى پت ولد عام ١٨٢٠م وارند إلى المسيحية عام ١٨٦٦م وكان المبشرون =

الإيمان»<sup>(١)</sup>.

ويتناول حالي في كتابه تهمة عماد الدين الموجهة للإسلام ويرد عليها بأسلوب هادئ وبطريقة استدلالية<sup>(٢)</sup> وقد ذكر صاحب تذكرة حالي أن رد حالي كان ينشر في مجلة «خير المواعظ» الشهرية في ذلك الوقت في دهلي على أجزاء ولم ينشر على هيئة كتاب منفصل<sup>(٣)</sup> وقد كتب حالي هذا الكتاب أثناء إقامته في جهانگیر آباد<sup>(٤)</sup> - ولهذا الكتاب أهمية كبرى من الناحية الدينية لا تقل عن الناحية الأدبية ويبدو فيه أسلوب حالي البسيط السلمي كما يساعدنا على تتبع التطور الفكري عند حالي<sup>(٥)</sup> ويتضح منه وقوف حالي على أهم أحداث عصره وفطنته في الرد على القس عماد الدين<sup>(٦)</sup>.

### ٣ - مبادئ علم البيولوجيا (علم طبقات الأرض) :

ومؤلف هاذ الكتاب سيرتشارلز ليل Sir Charles Lyell وكتبه عام ١٨٣٠م باللغة الفرنسية<sup>(٧)</sup>.

يقول حالي : وبعد ذلك قمت في لاهور بترجمة كتاب من اللغة العربية إلى الأردية في علم طبقات الأرض وقد ترجمه أحد المصريين الأفاضل من الفرنسية إلى العربية وقد

= المسيحيون قد انتشروا بكثرة في الهند بعد الثورة ونشروا الفتنة بين المسلمين معتمدين على سلطة الانجليز السياسية وكانوا يلغون العون والمساعدة من الحكومة الانجليزية وقد قاموا بتسميم الجو الديني وحاولوا نشر المسيحية بمختلف الطرق وقد وقع كثير من المسلمين في شراكهم نتيجة وعودهم بالمطامع الدنيوية كالوظائف الحكومية والأموال وكان عماد الدين من الذين تحولوا إلى المسيحية طمعاً في المال والوظيفة عند الانجليز وتبعه أخوه خير الدين وأبوهما سراج الدين وأصبحوا مبشرين بالدين المسيحي لكن سراج الدين وابنه خير الدين عادا واعتنقا الإسلام مرة أخرى في حين استمر عماد الدين ينفث سمومه ضد الإسلام والمسلمين وظل يكتب الكتب المختلفة في مهاجمة الإسلام ونبيه بإتهامهم بتهم كاذبة وقد قام علماء الدين بالرد عليه وعلى افتراءاته ومنهم جراح على ومولانا قاسم نانوتوي ومحمد علي مونگیری وقد كتب حالي هذا الكتاب «ترباق مسموم» للرد عليه.

(١) حالي : ترجمة حالي ص٤١٣.

(٢) عبد القيوم : حالي كى ارد ونثر نڱارى ص٦١، ٦٢.

(٣) محمد إسماعيل بانى پتى : تذكرة حالي ص١١٩.

(٤) غلام مصطفى خان : حالي كاذهنى ارتقا ص١٧.

(٥) محمد اكرام سابنوى : حالي واكبر كاخصوصى مطالعة ص٧٢.

(٦) رام بابو سكينينة : تاريخ ادب اردو ص٤٤.

(٧) ماثيو آرنولد : مقالات في النقد : رجمة على جمال الدين عزت . الدار المصرية للتأليف والترجمة . ط ١ .

١٩٦٦ . ص٥.

أعطيته لجامعة البنجاب بدون أى تعويض مالى لحق الترجمة وقد طبعته جامعة البنجاب ونشرته فى عهد الدكتور لايتزو كان الكتاب الاصلى قد كتب منذ ثمان وخمسين سنة<sup>(١)</sup> مضت، أى فى بداية ظهور علم الجيولوجيا وكنت غريباً على هذا العلم ولهذا لم يخل الاصل والترجمة من الاخطاء<sup>(٢)</sup> ويتكون هذا الكتاب من ١٣٨ صفحة وقد كتب على غلاف الكتاب الخارجى « مبادئ علم الجيولوجيا وهو فى بيان طبقات الارض ترجمة مولوى الطاف حسين حالى پانى پتى مدرس اول اللغات الشرقية فى المدرسة الانجلو عربية بدھلى وهو ترجمة لكتاب عربى مترجم عن الفرنسية وقد طبع عام ١٨٨٣م فى مطبعة جامعة البنجاب<sup>(٣)</sup> ويقول غلام مصطفى خان إن ترجمة هذا الكتاب تمت عام ١٨٧٢ أثناء إقامته فى لاهور<sup>(٤)</sup>. ويذكر حامد حسن قادرى أن اسم هذا الكتاب « طبقات الأرض » وقد تمت هذه الترجمة عن اللغة العربية وطبعت عام ١٨٦٨م<sup>(٥)</sup> ويقول محمد إسماعيل پانى پتى إن هذه الترجمة تمت فى الغالب عام ١٩٦٨م<sup>(٦)</sup>. ويعترض الدكتور عبد القيوم على هذا لان حالى ترجم هذا الكتاب أثناء وجوده فى لاهور وجاء حالى إلى لاهور بعد وفاة شيفته عام ١٨٦٩م وظل حالى بلاهور اربعة أعوام وترجم هذا الكتاب عام ١٨٧٢ وبذلك يتفق فى رأيه مع غلام مصطفى خان . ويتكون هذا الكتاب من مقدمتين ويبدأ فى تعريف علم الجيولوجيا وذكر مراحل تطوره ثم يبحث فى تاريخ الأرض ويتساءل هل الدنيا أبدية أم أزلية ويثبت بالادلة أن وجود الإنسان على الأرض ليس منذ زمان بعيد وكل الكائنات على سطح الأرض ليست أزلية ثم يذكر آراء العلماء المختلفة فيما يتعلق بعمر الأرض .

وفى الباب الاول يتحدث المؤلف عن حرارة الأرض وفى الثانى عن الطوفان وكيفية حدوثه وأسبابه وفى الباب الثالث يتحدث عن النظريات الجيولوجية المختلفة وتعريف لطبقات الأرض فى كل الأزمنة الجيولوجية ومميزات كل طبقة ومعادن الأرض المفيدة وكيفية استخراجها واستغلالها ويبدو أسماء المدن والجبال الفرنسية فى هذه الترجمة

(١) حامد حسن قادرى : داستان تاريخ اردو ص ٥٨٦ .

(٢) محمد إسماعيل پانى پتى : تذكرة حالى ص ١٢٠ .

(٣) محمد إكرام ساهنوى : حالى واكبر كاخصوص مطالعه ص ٧٢ .

(٤) غلام مصطفى خان : حالى كا ذهنى ارتقا ص ٢٩ .

(٥) حامد حسن قادرى : داستان تاريخ اردو ص ٥٨٦ .

(٦) محمد إسماعيل پانى پتى : تذكرة حالى ص ١٢٠ .

ويتضح منها أن المؤلف الأصلي الفرنسي كان يضرب الأمثلة على بلده فرنسا، وعلى الرغم من عدم معرفة حالي لهذا العلم إلا أن عباراته واضحة بحيث يستطيع عامة الناس أن يفهموها بسهولة علاوة على المتخصصين في هذا العلم<sup>(١)</sup>.

#### ٤ - أصول فارسي :

وهذا الكتاب في «قواعد اللغة الفارسية» وكتبه حالي سنة ١٨٦٨م<sup>(٢)</sup> ولكنه لم يطبع كما أن حالي لم ينته من كتابته كاملاً وكان هذا الكتاب موجوداً في منزل حالي قبل اضطرابات عام ١٩٤٧م ولكنه فقد وقد عثر الشيخ محمد إسماعيل پاني پتي على مسودة بخط حالي لمقدمة هذا الكتاب ونشرها في مجلة «نقوش» عدد أكتوبر ونوفمبر عام ١٩٥٣م ويحتوي هذا الكتاب على خمسة أقسام هي :

١ - القسم الأول في علم الصرف : ويتكون من مقدمة في مصطلحات علم الصرف، والباب الأول في بيان الحروف، والباب الثاني في بيان المصدر والمشتق، والباب الثالث في بيان الجامد، والخاتمة أسئلة عن علم الصرف .

٢ - القسم الثاني في علم النحو : ويتكون من مقدمة في مصطلحات علم النحو والباب الأول في بيان الأسماء، والثاني في بيان الأفعال، والباب الثالث في بيان الحروف، والباب الرابع في بيان المركب الناقص، والباب الخامس في بيان المركب التام، والخاتمة أسئلة في علم النحو<sup>(٣)</sup> .

٣ - القسم الثالث في علم المعاني : ويتكون من مقدمة في مصطلحات علم المعاني، والباب الأول في إسناد الخبر، والباب الثاني في بيان المسند والباب الرابع في بيان متعلقات الفعل والباب الخامس في بيان القصر والباب السادس في بيان الإنشاء

---

(١) عبد القيوم: حالي كى اردونترنگارى ص٧٠، ٧١، وصالحه عابد حسين: يادگار حالي ص٤٠ ورام بابوسكسينه: تاريخ ادب اردو ص٤٥٤ .

(٢) يؤكد الشيخ إسماعيل پاني پتي على أن هذا الكتاب الفه حالي عام ١٨٦٨م، ولكن الدكتور غلام مصطفى خان يذكر في كتابه «حالي كاذهنى ارتقا ص٣٢ ان سنة تأليف هذا الكتاب ١٨٧٢م. في حين ان حامد حسن قادري يذكر في كتابه «داستان تاريخ اردو: ص٥٨٦ ان سنة تأليف هذا الكتاب كان عام ١٩٦٨م دون أن يذكر الأدلة على ذلك .

(٣) عبد القيوم: حالي كى اردونترنگارى ص٧٢، ٧٣ .

- محمد إكرام سانبوى: حالي واكبر كاخصوصى مطالعه ص٧٣ .

والباب السابع فى بيان الوصل والفصل، والباب الثامن فى بيان الإيجاز والإطناب  
والمساواة والخاتمة اسئلة فى علم المعانى .

٤ - القسم الرابع فى علم البيان: ويتكون من مقدمة مصطلحات علم البيان والبيان  
الأول فى بيان التشبيه، والباب الثانى فى بيان الاستعارة، والباب الثالث فى بيان  
المجاز المرسل، والباب الرابع فى بيان الكتابة والخاتمة اسئلة فى علم البيان .

٥ - القسم الخامس فى علم البديع: ويتكون من مقدمة فى مصطلحات علم البديع  
والباب الأول فى بيان المحسنات البديعية والباب الثانى فى بيان الصنعة اللفظية،  
والخاتمة اسئلة فى علم البديع<sup>(١)</sup> .

ولو أن هذا الكتاب قد تم لأصبح مفيداً جداً لطلبة اللغة الفارسية، وقد كتب هذا  
الكتاب بخط واضح ويقع فى ٢٥٩ صفحة وقام الشيخ محمد إسماعيل پانى پتى  
بكتابة حواشيه وتوضيح بعض النقط الغامضة<sup>(٢)</sup> .

#### ٥ - پادرى عماد الدين كى «تاريخ محمدى» برمنصفانه رائى :

(الرأى الصائب على كتاب «تاريخ محمدى») نشر فى سنة ١٨٦٨م كتاب حالى  
«ترياق مسموم» رداً على كتاب القس عماد الدين المعروف ب«تحقيق الإيمان» وفى سنة  
١٨٧٢م قام هذا القس بكتابة كتاب عن حياة الرسول ﷺ ونشر باسم «تاريخ محمدى»  
فقام حالى بكتابة هذا الكتاب رداً على كتاب «تاريخ محمدى»<sup>(٣)</sup> ويقول الشيخ  
إسماعيل پانى پتى فى مقدمة هذا الكتاب: فى سنة ١٨٧١م قام القس عماد الدين  
بتأليف كتاب آخر عن حياة الرسول باسم «تاريخ محمدى» ونشر هذا الكتاب المشهود  
فى ٣١٢ صفحة ويتهم فيه الرسول باتهامات كاذبة وافتراءات دنيئة وحاول تشويه  
الحقائق التاريخية، وعندما قرأه حالى تألم كثيراً وقام بالرد عليه بأسلوب منطقى هادىء  
ومدعم بالأدلة<sup>(٤)</sup>، وهذا الكتاب يحتوى على خمسين صفحة وغير مقسم إلى أبواب أو  
عناوين وكتب حالى فى مقدمته بحثاً فى شروط كتابة السيرة الذاتية والقواعد التى

(١) عبد القيوم: حالى كى اردونثرنگارى ص٧٥، ٧٦ .

- محمد إكرام سانبوى: حالى واكبر كاخصوصى مطالعه ص٧٣ .

(٢) محمد إسماعيل پانى پتى: كلييات نشر حالى: ١/٤٤٠-٤٤٩ .

(٣) عبد القيوم: حالى كى اردونثرنگارى ص٧٧ .

(٤) الشيخ محمد إسماعيل پانى پتى: تذكرة حالى ص١٣٠ . وافتخار صديقى: كلييات نظم حالى ج١ .

تحكمها ونبه على أهمية الحيلة في التأليف لأن القس عماد الدين قد استغل الكتابة استغلال وقح واختار هذه الطريقة الشنيعة المذمومة في التأليف بعد أن وقع صيداً للحقد والكراهية واختلق الأساطير الكاذبة من وحيه وأقام عليها سيقلاً من الافتراضات والافتراءات بخصوص الإسلام ونبيه وقد أثبت حالي خطأها وأكد بقوة على إثبات الأدلة والمراجع التي كتبت بعدل عن حياة الرسول ﷺ (١).

وأسلوب الكتاب استدلالى مدعم بالأدلة القاطعة والبراهين العقلية بطريقة منطقية (٢).

## ٦ - شواهد الإلهام:

ويثبت حالي في هذه الرسالة بالدلائل العقلية ضرورة الوحي وأهميته، وقد كتب حالي هذه الرسالة عام ١٨٧٢م وتقع في ٢٢ صفحة وكتبت هذه الرسالة بأسلوب استدلالى واضح يذكر فيه حالي الأمثلة حسب أهميتها في إثبات فكرته كما يفعل الأستاذ مع تلاميذه من أجل توصيل الفكرة إلى عقولهم وبمساعدة هذه الأمثلة يخرج حالي بنتائج منطقية، ويوضح حالي أفكاره بطريقة مؤثرة يغلب عليها جانب العقيدة الدينية ويظهر قدرته على الكتابة باللغة العربية في ثنايا هذه الرسالة (٣).

وعلى الرغم من أن موضوع هذه الرسالة دينى إلا أن حالي لم ينحز لعواطفه وتحري فيها جانب الصدق والحقيقة (٤). وكان أسلوب حالي قبل أن يصل إلى لاهور بصفة عامة يميل إلى الطابع الدينى ولم يظهر فيه أى أثر للميول والنزعات الجديدة أو التذوق الأدبى، ولكن بعد وصوله إلى لاهور سنحت له الفرصة كاملة للإطلاع على هذه المؤثرات الجديدة فى مجال الأدب والتأليف وتوسعت مداركه عندما عمل فى مكتبة البنجاب الحكومية وجمعية البنجاب وتفجرت مواهبه خاصة بعد حركة السيرسيد (٥).

(١) عبد القيوم: حالي كى اردونثر نكارى ص٧٩.

(٢) محمد إكرام سانبوى. حالي وأكبر كاخصوص مطالعه ص٧٤. يذكر غلام مصطفى خان فى كتابه «حالي كا ذهنى ارتقاء» ص٣٢ أن سنة تأليف هذا الكتاب عام ١٨٧٢م.

(٣) عبد القيوم: المرجع السابق ص٨٠، ٨١.

(٤) محمد إكرام سانبوى: المرجع السابق ص٧٤.

(٥) عبد القيوم: المرجع السابق ص٨٢.

يقول حالي : « كتبت في لاهور كتاباً لتعليم النساء في أسلوب قصصى يُعرف بمجالس النساء ويسببه أهداني اللورد بروك<sup>(١)</sup> أربعمائة روبية وقد ظل هذا الكتاب مقررًا لفترة في مدارس البنات في اودهو والبنجاب<sup>(٢)</sup> وألف حالي هذا الكتاب عام ١٨٧٤م وهو في جزئين وطبع الجزء الأول منه في نفس السنة في المطبعة المحمدية بلاهور ولكن هذه النسخة مفقودة الآن ويوجد طبعة « مطبعة حالي » بياني پت<sup>(٣)</sup>. ويشتمل هذا الكتاب على تسعة أبواب أو مجالس يتناول فيها حالي الأمور الاجتماعية المختلفة والهامة للنساء ويذكر أهمية العلم وأفضل الطرق لتعليم الاطفال بسهولة، وأوهام النساء وعاداتهم البالية وقدم عدة نصائح تتعلق بأمور الحياة المختلفة، مثل طريقة نذير أحمد في كتابه « مرآة العروس » ١٨٦٩م الذي ألفه لتربية النساء<sup>(٤)</sup>. وكتاب مجالس النساء ذات أهمية خاصة بالنسبة لمؤلفات حالي الأولية في النثر الأردى لانه يساعدنا على فهم أفكار حالي فيما يتعلق بالمرأة وكيفية إصلاح أوضاعها في المجتمع الهندى ويعتبر هذا الكتاب الأول في سلسلة مهمته الإصلاحية، وحاول حالي في هذا الكتاب إصلاح حياة المرأة الاجتماعية بأسلوب قصصى سهل وانتقد حالي فيه جهل النساء وتمسكهن بالعادات القديمة وكتب هذا الكتاب على لسان نساء دهلى وبلغة الأسر العريقة، ويوجد فيه كثير من الجمل والعبارات والالفاظ والأمثلة التي كانت نساء الأسر العريقة والأشراف في دهلى يستخدمونها في حياتهن اليومية<sup>(٥)</sup> وقد كتب في الأردية عدة كتب في هذا الموضوع قبل كتاب « مجالس النساء » مثل قصة « مرآة العروس » و« بنات النعش » لنذير أحمد وقد نالت هذه القصص شهرة عظيمة، كما ظهرت عدة كتب أخرى في تربية النساء منها « مفيد الخلائق » لعنايت حسين الدهلوى عام ١٨٦٩ و« انشا مفيد النساء » لمولوى عبد الله الذى اهتم فيه بتعليم النساء ومثله كتاب « مفيد النساء » لمولوى عبد الحماد وكتبه عام ١٨٧٢م وكان هدفه أيضاً إصلاح حياة النساء الاجتماعية وانتقد فيه جهلهن وتمسكهن بالبدع والتقاليد البالية وضيق نظرهن واعتمادهن على التعاويذ

(١) اللورد بروك: حاكم الهند فى سنة ١٨٧٢م حتى سنة ١٨٧٦م.

(٢) حالي : ترجمة حالي ص٤١٣.

(٣) عبد القيوم : حالي كى اردونفرنگارى ص٨٢.

(٤) غلام مصطفى خان : حالي كا ذهنى ارتقا ص٤٢.

(٥) رام بابوسكسينه: تاريخ ادب اردو ص٤٥ وصالحه عابد حسين: يادگار حالي ص٤٠، ٤١.

والطرق القديمة في مداواة المرضى بدلاً من العلاج المفيد مما يؤدي إلى تفشى المرض، والشخصيات الرئيسية في «مجالس النساء» هن نساء دهلى ويجرى الحوار على لسان عجوز وابنتها شاه جى بأسلوب قصصى ممتع تعترض فيه الفتاة على تمسك أمها بالتقاليد القديمة البالية وحاول حالى تخليص النساء اللاتى مازلن على تمسكهن التعاويذ والشعوذة والأوهام والخرافات فى حياتهن اليومية، وتبدأ القصة بكيفية تعليم الأطفال وأصول تربيتهم وأى الطرق المثالية لتحقيق ذلك وحذر من التدليل الزائد فى معاملة الطفل والقى بالمسئولية كاملة على عاتق الأم فى تربية أبنائها ولذلك يجب تعليم النساء حتى يعلمن أبناءهن خاصة فى المرحلة الأولى من حياتهم، حيث يكونون أكثر قبولاً ومثولاً للتوجيه والتربية<sup>(١)</sup>، وعلى الرغم من أن كتاب «مجالس النساء» لا يعتبر قصة بالمعنى الفنى مثل قصص نذير أحمد «مرأة العروس» و«بنات النعش» إلا أنه يعتبر مرحلة من مراحل تطور القصة الأردنية وكان حالى ينوى كتابة قصة بالمفهوم الفنى ولكنه توفى قبل أن يحقق ذلك ولكن حالى نجح إلى أبعد الحدود فى تصوير المجتمع الإسلامى على لسان نساء دهلى واستطاع بذلك أن يحفظ لنا الكثير من الألفاظ والعبارات المستخدمة فى ذلك الوقت، كما نجح أيضاً فى أهدافه الإصلاحية وحرر حالى النساء من الوهم وأثبت مقدرة فائقة فى معرفة لغة النساء والأمثال التى يستخدمونها فى حياتهن اليومية وتناول أحاديثهن بلغة سهلة غير متكلفة حتى قال الشيخ إسماعيل پانى پتى «يبدو من هذا الكتاب انه من تأليف أحد النساء».

## ٨ - سفر نامه حكيم ناصر خسرو :

«رحلة ناصر خسرو» ترجم حالى هذا الكتاب عام ١٨٨٢م وهو باللغة الفارسية مع مقدمة طويلة وبحث فى فن التراجم والسيرة الذاتية وكتبه حالى بإتقان شديد وبذل فيه جهداً عظيماً واستفاد فى تأليف هذا الكتاب من كتب التذاكر المشهورة. فى ذلك الوقت والتى تتناول هذا الموضوع، واطلع على كثير منها مثل: «تاريخ گزیده» تأليف حمد الله المستوفى وقد الفه عام ٧٣٠ هـ، و«مجمع الفصحاء» لرضا قليخان هدايت، و«روضة الصفا» تأليف ميرخواند و«حبيب السير» تأليف غياث الدين المعروف بخواند مير والفه عام ٩٢٩ هـ و«تذكرة الشعراء» لدولتشاه السمرقندى والفها عام ٩٨٢ هـ

(١) عبد القيوم: المرجع السابق: ص٨٣، ٨٤.

- محمد إكرام سابنوى: حالى واكبر كاخصوصى مطالعه ص٧٤.

و« آتش كده » تأليف لطفى على بيك آذربيكدلى والفها عام ١١٧٤ هـ، و« مفتاح التواريخ » لتومس وليم بيل و« تقويم التواريخ » لحاجى خليفة، علاوة على استفادته مما كتبه المستشرق الفرنسى شارلز شيفر<sup>(١)</sup> ويتضح من مقدمة الكتاب أن رحلة ناصر خسرو هذه كانت موجودة فى مكتبة نواب ضياء الدين أحمد حاكم لهارو، وقد جد فى طالبها المستشرق الفرنسى شيفر لترجمتها إلى اللغة الفرنسية وقد رأى حالى هذا الكتاب فى الغالب عند نواب ضياء الدين أحمد وقام بتحقيقه واعادة طبعة وكانت قد اشتهرت روايات خاطئة فى ذلك الوقت عن حياة ناصر خسرو ومؤلفاته فقام حالى بجمع أحداث حياته ووقائعها الصحيحة من كتب التاريخ المختلفة ونشر هذا الكتاب الذى يعد من أهم جهود حالى العلمية<sup>(٢)</sup>.

وتقع مقدمة حالى لرحلة ناصر خسرو فى ٣٢ صفحة، ويعتبر ناصر خسرو من كبار الأدباء والرحالة فى القرن الخامس الهجرى وتوفى عام ٤٨١ هـ وتعتبر رحلته من أهم كتب الرحلات فى عصره وقد وصف ناصر خسرو البلاد التى زارها مثل مصر والحجاز والشام وفلسطين فى سبع سنوات بأسلوب بسيط سلس ويعتبر تحقيق حالى لهذه الرحلة ذات أهمية تاريخية كبرى نظراً لضياح معظم الكتب التى اعتمد عليها حالى فى ذلك الوقت، كما فقدت أيهاً النسخة الأصلية من هذه الرحلة وقد قام حالى بنشر هذه الرحلة مع تحقيق لها فى مطبعة خير خواه دهلى عام ١٨٨٣م، وقد قام مولوى عبد الرازق كانبورى بترجمة هذه الرحلة إلى اللغة الأردية مع حواشى قيمة ومقدمة فى فن كتابة التراجم ونشرتها جمعية تطوير اللغة الأردية «انجمن ترقى اردو» عام ١٩٤١م<sup>(٣)</sup>. كما قام محمد صديق طاهر شادانى بترجمة سفرنامه إلى اللغة الأردية ونشرها «مجلس ترقى ادب» عام ١٩٧٣م.

وفى مقدمة هذا الكتاب يقول حالى: مؤلف سفرنامه هو حكيم أبو المعين ناصر بن خسرو العلوى من شعراء خراسان القدماء، اشتهر بالعلم والحكمة. ولم تتناول أقلام المؤرخين أحداث حياته بدقة لذا حدث هناك تداخل بين الاحداث الصحيحة والكاذبة، ولعل السبب فى عدم الاهتمام بسيرته لمدة طويلة أو تناولها بدون اهتمام، يرجع إلى أن العصر الذى عاش فيه كان الخلاف المذهبى بين السنة والشيعة على أشده وكانوا يعتبرون

(١) غلام مصطفى خان: حالى كاذهنى ارتقا ص ٨٨.

(٢) صالحه عابد حسين: يادگار حالى ص ٤٨.

(٣) غلام مصطفى خان: المرجع السابق ص ٨٩.

ناصر خسرو من أئمة المذهب الإسماعيلي وكانوا يطلقون على الإسماعيلية لقب الملاحدة أو الباطنية<sup>(١)</sup>.

وعندما بدأت افكاره واشعاره تنتشر في كل مكان بدأ المؤرخون في البحث عن مؤلفاته وسيرته الذاتية ويفرقون بين الصالح والطالح منها ومع ذلك يبقى هناك صعوبة في معرفة احداث حياته بصورة صحيحة. وفي العصر الحديث كتب المستشرق الفرنسي شارلز شيفر كتاباً باللغة الفرنسية عن قصة حياته ولكننا لا نستطيع الاعتماد عليه لاننا لا نعرف اللغة الفرنسية<sup>(٢)</sup>.

ومن أكبر الخلافات في حياة ناصر خسرو هو تحديد سنة مولده، فمثلاً يذكر حمد الله المستوفى القزويني في تذكرته « تاريخ گزيده أن سنة ولادته ٣٨٥ هـ، بينما يذكر مؤلف «ديستان المذاهب» أنه ولد عام ٣٥٩ هـ في حين أن صاحب «حبيب السير» يرى أنه ولد عام ٣٥٨ هـ لكننا لا نقبل هذه الأقوال الثلاثة ونرجح عليها رأى رضا قلى خان الذى أورده في تذكرته «مجمع الفصحاء» الذى يقول أنه فى ٣٩٤ هـ وقد وافق شارلز شيفر على الرأى الأخير واستند فى ذلك على بيت شعر لخسرو يقول فيه «لقد ولدتنى أمى، بعد انقضاء ٣٩٤ عاماً من الهجرة»<sup>(٣)</sup> وبالنسبة لموطن ناصر خسرو يذكر كتاب التذاكر أنه من اصفهان إلا أن هذا الرأى ليس له وزن فالثابت أن آباءه وأجداده لم تكن لهم أى صلة بمناطق اصفهان والعراق العجمى وفارس وأن اجداده حتى على بن موسى الرضا وهو الجد الثامن له كانوا يسكنون خراسان وكانت بلخ عاصمة لخرسان لزمان طويل ويمكن أن نعرف موطنه من هذا البيت الشعرى:

يا نسيم الصبا إذا مررت على ديار بلخ عرّج على دارى واخبرنى باحواله<sup>(٤)</sup>

وقد حفظ ناصر خسرو القرآن الكريم فى طفولته وتعلم العلوم الأولى ودرس علوم عصره حتى صار من أشهر علماء خراسان والتحق بخدمة السلاجقة وكان مقرباً من

(١) حالى: سفرنامه حكيم ناصر خسرو. مجلس ترقى ادب. لاهور ١٩٧٣م ص ١.

(٢) حالى: سفر نامه حكيم ناصر خسرو ص ٢-٣.

(٣) بگزشت زهجرت پس سيصد ونود و چهار بنهاد مرا مادر بر مركز زاغبر

(٤) له باد عصر گرگزرى بردبار بلخ بگزر بخانه من وانجما بجوى حال

جفريك وعمل كاتباً عنده وفي سنة ٤٣٧ هـ أراد أن يسافر إلى الحجاز فترك هذه الوظيفة وبدأ رحلته من خراسان إلى العراق العجمي وأذربيجان ووصل أرمينية ومنها للشام وفلسطين والعراق ووصل إلى مكة ومنها إلى مصر، حيث قضى بها ثلاث سنوات ومن مصر زار الحجاز مرتين وكان يعود إليها مرة أخرى، ويقول كتاب «روضة الصفا» و«حبيب السير» و«دبستان المذاهب» أنه مكث بمصر سبع سنوات ولكن ناصر خسرو يكذب ذلك في «سفرنامه»، وفي نهاية رحلته عام ٤٤١ هـ عاد من مصر فزار الحجاز واليمن والحساء والبصرة وخليج فارسى ومنه إلى بلاد فارس وخراسان حتى وصل إلى بلخ عام ٤٤٤ هـ (١).

وهناك اختلاف أيضاً حول سبب قيام ناصر خسرو برحلته، فنعرف من كتابه «سياحتنامه» أنه مر بالعراق العربي مرتين لكنه لم يوضح هل كان ذلك من أجل زيارة العتبات المقدسة والكاظية والنجف وكربلاء وكان الشيعة يزورونها للتبرك، ويذكر حالي أن صاحب «روضة الصفا» و«حبيب السير» قد ذكرا أن ناصر خسرو سمع بسيرة الإسماعيلية الطيبة فذهب إلى مصر ولكنه لم يذكر ذلك في سياحتنامه (٢).

وقد أكد حالي على علاقة ناصر خسرو وبصفة خاصة المستنصر بالله الفاطمى وله قصيدة يفهم منها أنه كان يتوق لرؤيته وأنه سافر لهذا الغرض علاوة على أن ناصر خسرو وكان متبرماً من علماء عصره ولم يكن يتوقع منهم أن ينصفوه ويحترموا علمه ولذا لاذ بالمستنصر وبث إليه همومه، ولم يكن الهدف من سفر ناصر خسرو والحصول على المال والجاه وقد مدح ناصر خسرو والمستنصر بالله في قصيدة ووصفه بالصدق والعدل وأنه إمام واجب الطاعة (٣).

وبعد عودة ناصر خسرو إلى خراسان رماه الناس بالكفر واتهموه بالإلحاد والزندقة وتعقبوه فهرب إلى كوهستان في بدخشان، وهناك رواية تقول أنه بعد أن عاد إلى وطنه ذهب إلى بغداد وجيلان للبحث في المذاهب مع العلماء وتشرف بصحبة الشيخ أبو الحسن الخرقانى وبايعه وقضى حيناً من الدهر في خدمته، إلا أن حالي يرفض هذه الرواية لأنه ليس هناك ما يثبت ذلك. وهناك اختلاف شديد حول تحديد مذهب ناصر خسرو، فيقرر رضا قلى خان في «مجمع الفصحاء» أن مذهبه الصحيح هو الاثنى عشرية إلا أن

(١) حالي: المرجع السابق ص ٥-٧.

(٢) حالي: سفرنامه حكيم ناصر خسرو ص ٩.

(٣) حالي: المرجع السابق ص ١٠-١٢.

حالى يرفض هذا الرأى وانه محض خيال وأن شارلز شيفر نقل عدة أبيات لناصر خسرو فى ترجمته الفرنسية توضح انكاره لحشر الجسد وقد علق المحقق الطوسى عليها بقوله أن ناصر خسرو لا يعتبر فى عداد المؤمنين الصادقين . واختلف المؤرخون فى تحديد سنة وفاة ناصر خسرو فىرى دولتشاه السمرقندى أنه توفى عام ٤٣١ هـ، غير أن سياحتنامه تكذب ذلك لأنه فى هذا التاريخ لم يكن قرر السفر، ويقول تومس وليم بيل فى «مفتاح التواريخ» أن سنة وفاته ٤٤١ هـ ولكن هذه الرواية خاطئة كسابققتها لأن هذا يعنى أن عمره فى ذلك الوقت ٤٧ سنة مع أن له قصيدة كتبها وهو فى الثانية والستين من عمره<sup>(١)</sup>.

ويقول صاحب «حبيب السير» أن عمر ناصر خسرو مائة عام طبقاً لرأى صاحب «تاريخ كزیده» وكذلك يذكر صاحب «مجمع الفصحاء» أنه عاش مائة وأربعين عاماً ومات عام ٥٣٤ هـ وأنه التقى بالشيخ الرئيس أبو على سينا وأبو نصر الفارابى، ويرفض حالى هذه الآراء ويقول أن أصدق هذه الأقوال قول حاجى خليفة فى «تقويم التواريخ» حيث ذكر أن وفاته كانت عام ٤٨١ هـ وعمره ٨٧ عاماً، ومن شعره «روشنائى نامه» ونثره «كنز الحقائق». ويرى حالى أن من مؤلفاته علاوة على هذا كتاب «الندامة فى زاد القيامة» باللغة العربية ويذكر شيفر فى كتابه عن حياة ناصر خسرو أنه فى هذا الكتاب يظهر ندمه وخطأه، وله أيضاً «سلم السموات» و«سعادت نامه» و«مستولى» فى الفقه، و«زاد المسافرين» فى المعقولات و«قانون أعظم» و«دستور أعظم» وتفسير القرآن علاوة على «سفر نامه»<sup>(٢)</sup>.

#### ٩ - تذكرة رحمانية: (حياة الشيخ عبد الرحمن بانى پتى)

ألف حالى هذا الكتاب عام ١٨٩٦م وتحدث فيه عن حياة استاذه الشيخ عبد الرحمن بانى پتى وعن علمه وفضله وقد تلقى حالى علوم الحديث على يديه وكان شيخاً عالمياً راسخ العقيدة وتأثر حالى به، وبعد وفاته عام ١٨٩٦م حزن حالى عليه حزناً شديداً ويقول حالى عن الشيخ عبد الرحمن أنه لم يخش لومه لائم فى أمور دينه ودخل معترك الحياة فكان يقوم بوعظ المسلمين فى كل مكان وظل على هذه الطريقة حتى مات ولم يكن يفضل حياة الخلو.

(١) حالى: المرجع السابق ص ١٣-١٩.

(٢) حالى: المرجع السابق ص ٢٢-٢٤.

## خصائص أسلوب حالي

كان حالي شاعراً مجيداً تصل شاعريته إلى حد الكمال فى الوضوح والبساطة والصدق فى الأسلوب واللغة لذلك استطاع أن ينجح ككاتب نشر بارع بقدر شهرته فى نظم الشعر، وترك لنا حالى ثروة أدبية ثمينة فى مجال النثر والشعر، ولا تقل مكانته فى كتابة النثر الأردى عن نظيرها فى نظم الشعر.

ويعرف المثقفون حالى فى الأدب الأردى الحديث بأنه كتب «مقدمة شعر وشاعرى» ومهد الطريق لظهور الشعر الجديد وألف فى التراجم «حيات سعدى» و«يادگار غالب» و«حيات جاويد» غير أن هذا اللون من الإبداع الأدبى ظهر لنا بعد مقابلة حالى للمسير سيد وفى مرحلة نضوج أسلوب حالى النثرى الذى ظهر جلياً بعد ذلك بتأثير من حركة على گرطه، لكن قبل هذه المقابلة مع السير سيد كان اهتمام حالى ينحصر فى مجال الإصلاح الأخلاقى والمناظرات الدينية ويسير فى ذلك على نهج القدماء وأساليبهم. ولا يعتبر حالى فى هذه الفترة الزمنية منفصلاً عن الحياة الفكرية فى عصره، حيث كانت موضوعات النثر محدودة للغاية فى كتابة الكتب الدينية والقصص وكانت مؤلفات هذا العصر مليئة بالمبالغة علاوة على النزعة الدينية المسيطرة على أسلوب كتابتها وكان كتاب النثر يهتمون بالمحسنات البدعية والصنعة اللفظية باستثناء بعض هذه المؤلفات غير أن أسلوب حالى كان خالياً من هذه العيوب وتتغلب عليه النزعة الإصلاحية والدينية وكانت المؤلفات فى ذلك العصر تهتم بالجانب العقيدى والعاطفة الدينية إلا أن ذلك كان يقل فى مؤلفات حالى فى تلك الفترة ولم يكن أسلوب معقداً يحول دون توصيل الفكرة بسهولة إلى المتلقى، ومع ذلك كان من الطبيعى أن يتأثر حالى بعصره وأسلوب النثر فى هذا العصر<sup>(١)</sup>، ولم تكن هناك أى محاولات جديرة بالاهتمام فى هذا الوقت لبيان النظريات العلمية فى النثر الأردى، وعندما تكون هناك حاجة ماسة إلى كتابة الأفكار العلمية فإنهم يختارون اللغة الفارسية لاداء هذه المهمة وكانت لغة متقدمة بالمقارنة باللغة الأردية، وعلى الرغم من أن مؤلفات حالى كتبت بعد ثورة ١٨٥٧م لكم الطريق لم يكن قد ظهرت معالمه بعد أمام حالى حتى التقى بالسير سيد وبدأت مؤلفاته

(١) عبد القيوم: حالى كى ارد ونثر نگارى ص٩٧، ٩٨.

(٢) محمد اكرام سانبوى: حالى واكبر كاخصوصى مطالعه ص٧٥.

تتجه وجهة أخرى ومثل أمامه ميدان الموضوعات العلمية الرَّحْبَة بعد أن كان نشره يدور في دائرة ضيقة من الموضوعات من قبل، وعندما أصدر السير سيد مجلة «تهذيب الاخلاق» لنشر أهدافه الإصلاحية ازدهر النشر الأردني وصار مؤهلاً لاداء الافكار العلمية والموضوعات الأدبية على السواء وحلت اللغة الأردنية محل اللغة الفارسية<sup>(١)</sup>.

ويقول حسن قادري: كان حالي عنصراً هاماً من عناصر الأدب الأردني الخمسة<sup>(٢)</sup> والذي بدونه لا يكتمل مزاج الأدب الأردني الصحيح ففي غضون فترة لا تتجاوز أربعين عاماً أسس حالي ورفاقه الأدب الأردني وبدون هذه الجهود لا تستطيع أى لغة تتطور أو يوجد نماذج أولية لهذه اللغة فأبدع السير سيد سيد في مجال المقالات الأدبية وآزاد في مجال التاريخ والتذاكر ونذير أحمد في مجال القصة ولم يكن أحد كتب في التراجم والسيرة فكان حالي أول كاتب للسيرة الذاتية كما ألف كتاب الأردني الأول في نقد الشعر وكان لشبلي أعمال عظيمة في السيرة النبوية والنقد وكانت «حيات سعدى» أول كتاب في السيرة قائماً على أساس علمي<sup>(٣)</sup>.

وقد اختار حالي موضوعين خاصين به في مجال كتابة النشر وهما النقد الأدبي وكتابة التراجم ووضح فيهما وجهة نظر المؤرخ والناقد، وهناك عدة أسباب لشهرة أسلوب حالي وهي: ١ - يستخدم حالي في أسلوبه ذخيرة هائلة من الألفاظ الهندية: كان لنجاح أسلوب حالي وشهرته عامل هام وهو استخدامه ذخيرة هائلة من الالفاظ الهندية وكان حالي عالماً بركة وجمال الالفاظ الهندية حتى استعملها بدقة في نثره ويقول: مولوى عبد الحق: لقد أدخل حالي كثيراً من الالفاظ والمفردات الهندية في الأدب الأردني والتي كانت بعيدة عن أنظارنا والتي نستعملها حتى اليوم ولا يوجد أديب أو شاعر أردني فضلاً عن الادباء والشعراء الهنود إلا واستعملها في مؤلفاته، وكان حالي يستخدم الالفاظ الصحيحة في موضعها والتي تبث الروح في الكلام فتنهض الالفاظ لتتحدث بنفسها ويستمر خفقان قلب الكاتب وهذا هو ذروة الكمال بالنسبة للأدب وبعض من خدمات حالي «ويمتاز أسلوب حالي كذلك بوجود آلاف من الالفاظ المتروكة والتي لا تستعمل ويعتبرها الأديب والشاعر بوجه عام الفاظاً سوقية وعامية غير جديرة بالاهتمام،

(١) صالحه عابد حسين. يادگار حالي ص ١٧٠، ٢٧١.

(٢) العناصر الخمسة هم: السيد احمد خان (ت ١٨٩٨م) وشبلي (ت ١٩١٤م) ونذير احمد (ت ١٩١٢م) ومحمد حسين آزاد (ت ١٩١٠م) وحالي (ت ١٩١٤م).

(٣) محمد إكرام سانوي: حالي وأكبر كاخصوصي مطالعه، ص ٧٠، ٧١.

غير أن حالي استعمل هذه الكلمات في موضعها وأظهرها بطريقة جميلة وسليمة مثل ترصيع الفصوص في الخاتم، وعن طريق حالي أخذت هذه الألفاظ مكانتها في الأدب الأردى، وأراد حالي أن يضاعف من خزينة الكلمات المستخدمة فى اللغة الأردية وهو يعلم أن اللغة الأردية تحوى آلاف الألفاظ من اللغات الأخرى والتي صارت بعد امتزاجها بها جزء لا يتجزأ من كيانها مثلما تستخدم ألفاظ اللغات المحلية الأخرى ببساطة فى اللغة الأردية.

٢ - يستخدم حالي فى أسلوبه كثيراً من المفردات الإنجليزية: استخدم حالي فى أسلوب كتابته كثيراً من الألفاظ الإنجليزية<sup>(١)</sup> التى كانت شائعة فى عصره ويستخدمها من يعرف الإنجليزية أو من لا يعرفها فى حياته اليومية وقد دخلت هذه الألفاظ فى الأدب الأردى بتأثير من التعليم الإنجليزي الذى فرضه الإنجليز على سكان الهند ونجد هذه الكلمات أكثر استخداماً فى أوساط المثقفين وعلى رأسهم السير سيد وفاقه وأنصار حركة على كرت، واستخدم حالي فى نشره هذه الكلمات على الرغم من عدم معرفته باللغة الإنجليزية كما ذكر ذلك فى ترجمته الذاتية<sup>(٢)</sup> وأدى جهل حالي باللغة الإنجليزية إلى استخدام مفرداتها فى غير موضعها وبطريقة خاطئة كما حاول أن يطبق قواعد اللغة الأردية على هذه الألفاظ مثل «اسكالرشب» يجمعها حالي على «اسكالرشبون» واستخدم حالي هذه الألفاظ بكثرة فى نشره كما يستخدمها السيرسيد فى مقالاته فى مجلة «تهذيب الأخلاق» ومن هذه الألفاظ: بولتيكل، آرگن، هسترى، فيكلتى، كالج اسطيت، بريسنس ط، ايد طرس، ديپوٹيشن، سلف هلب، واستعمل حالي الألفاظ غير المستعملة فى اللغة الإنجليزية مثل فونديشن، انسوطيوشن، طديبارتمنت<sup>(٣)</sup> وغيرها من الألفاظ التى لم تكن مفهومة فى ذلك الوقت ولكن حالي استخدمها ليظهر قدرته الثقافية العالية على الرغم من وجود مترادفات كثيرة لهذه الكلمات فى اللغة الأردية، كمل نلاحظ أن هذه المفردات الإنجليزية كانت تستعمل فى مجال التعليم والثقافة أو الوظائف الحكومية والقاب الحكام الإنجليز، أو فى مجال الأدب وتوضح هذه الألفاظ مدى نأثر اللغة الأردية فى ذلك الوقت بالألفاظ الإنجليزية وخاصة الألفاظ الحضارية منها، على أننا كما سنرى فى كتاب حالي «مقدمة شعر وشاعرى» أنه يستخدم كثيراً

(١) عبد القيوم: حالي كى ارد ونشر نكارى ص٢٧٦، ٢٧٧.

(٢) حالي: ترجمة حالي: ص٣٣٥.

(٣) عبد القيوم: حالي كى اردونشر نكارى ص٢٩٤، ٢٩٥.

من الألفاظ الإنجليزية في الشعر والنقد مثل بؤيتري ونيجرى ونيجرل وغيرها من الألفاظ التي سنتعرض لها عند دراستنا لهذا الكتاب في الباب الثالث. واستعمال حالي لهذه الألفاظ الإنجليزية الكثيرة في أسلوبه يختلف عن استعماله لالفاظ اللغة الهندية ومفرداتها لأن هناك توافقاً فطرياً بين الأردية والهندية فهما أختان تربيتا في حضن أم واحدة وإذا كان الكاتب واقفاً بهما عارفاً لهما يستطيع بطريقة جيدة أن يستخدم الفاظ أحدهما في الأخرى بدون أن يظهر أى خلل في سياق العبارة، ولكن حالي كان يجهل من البداية اللغة الإنجليزية التي تعتبر لغة أجنبية على الهند وليس لها صلة قرابة بالأردية مثل الهندية، وفي خلال المائة عام الماضية ومنذ فشل الثورة بدأت تدخل معات الألفاظ والمفردات الإنجليزية في اللغة الأردية، إلا أن حالي استعمل هذه الألفاظ في نثره بطريقة خاطئة وغير مناسبة أو ضرورية في بعض الأحيان. وتقول صاحبة عابد حسين<sup>(١)</sup>: «ربما كان تفكير حالي هو الاستفادة من الفاظ اللغة الإنجليزية بقدر الإمكان مثلما تستعمل معات المفردات الهندية وآلاف المفردات الفارسية والتركية والعربية في اللغة الأردية، فكان تفكير حالي صائباً إلى حد ما فقد استفادت اللغة الأردية في كثير من المواضع بهذه المفردات خاصة أسماء الأشياء الأجنبية ومتعلقاتها والتي دخلت إلى الهند مصاحبة للحكومة الإنجليزية، ولا تستطيع الأردية أن تأخذ من اللغة الإنجليزية أكثر من ذلك».

٣ - المميزات العامة في أسلوب حالي والتي اتفق عليها النقاد ومؤرخو الأدب

الأردى :-

يمتاز أسلوب نثر حالي بالقوة والاستدلال ويمتزج فيه السلاسة بالاعتدال والتوازن بلغة سلسة لا تضل المخيلة الطريق بقراءتها ولا تتعثر ملكات التفكير أمام عباراتها فلم يكن هدف حالي اللعب بالالفاظ ليصنع بمساعدتها طلسمًا يستهوى العقل ويسحر اللب ويأثره، بل كان أسلوب حالي يدعو القراء للتفكير بقلب يقظ وعين مفتوحة ليروا النتائج التي يعرض لها<sup>(٢)</sup>.

ويقول المستشرق : جراهام بيلي Graham Bailey الذى قضى جزءاً كبيراً من عمره فى دراسة اللغة الأردية - فى كتابه « تاريخ الأدب الأردى - Ahistory of Urdu literature » عن « أسلوب حالي أنه عار من الزينة، وممل إلى حد ما إلا أنه مستقيم ورسين كما

(١) صاحبة عابد حسين: يادگار حالي ص٢٧٧.

(٢) صاحبة عابد حسين: المرجع السابق ص٢٧٣.

يتجلى هذا من كتابته فى موضوعات علمية، وهو جيد حقاً فى الاحيين، إلا أن خروجه عن الصيغ لا تعجب القارىء»<sup>(١)</sup>.

ويقول الشيخ چاند الذى درس نشر حالى بعمق وكتب فيه كتاباً جامعاً: إن نشر حالى قوى جاد وموزون ويقدم ما فى ضميره بأسلوب مؤثر بحيث لا يجد القارئ والمتلقى صعوبة فى فهم أفكاره ويستطيع أن يصاحبه فى خياله الملحق بلا نصب ولم يقع حالى فريسة للثرثرة والتصنع فى غير محله بل أن أفكاره تابعة لألفاظه ومن هنا نرى أن أسلوب حالى لم يكن أدبياً انشائياً فحسب بل كان علمياً ونقدياً<sup>(٢)</sup>.

ويقول مهدي أفادى الناقد المعروف: إذا استطاع أحد أن يمسك القلم بعد السيرسيد أحمد خان فهو حالى « ويعترف الدكتور عابد حسين بجمال أسلوب حالى فيقول: لا يقل نشر حالى فى طابعه عن شعره فنجد فيه العظمة والبساطة والنضج وأسلوبه بسيط وبالرغم من هذا لم يتخل حالى فى أسلوبه عن الوقار والعفة بجانب القوة العلمية». ويقول آل أحمد سرور: كان حالى صاحب أسلوب متميز ويتميز بالحوية عن باقى رفاقه وأصدقائه « والحقيقة إن أسلوب حالى كان حياً وراسخاً ومثل هذا الأسلوب تكون الحياة الخالدة من نصيبه<sup>(٣)</sup>.

ويقول الدكتور عبد القيوم: يتميز أسلوب حالى بالصفاء والقوة والبساطة فى استخدام التشبيهات والأمثلة العربية والأعجمية وقرب ألفاظ اللغة من أفهام العوام وقرب المعنى من النفس بدون أى صعوبة واختراع التعبيرات وتوليد التراكيب الجديدة فى نشره ومؤلفاته خالية من إثبات الذات والانانية ويظهر فيها تواضعه الشديد<sup>(٤)</sup>.

ويقول كلیم الدين أحمد: أحد نقاد الأدب الأردى « يتميز نشر حالى وأسلوبه بالصفاء والتنوع والجاذبية والدقة فى تناول الموضوعات النقدية « ويقول الدكتور سيد شاه على بصدد أسلوب حالى: إن أسلوب حالى يتميز بالحوية والصفاء والنضارة كما يبدو فى كتاب ( حیات جاوید و « یادگار غالب » ويبدو فيه متأثراً بطريقة السير سيد الوعظية والإصلاحية، وعلى الرغم من وجود بعض الكلمات الإنجليزية فى أسلوبه إلا أنه

(١) جراهام بيلى: الأدب الإسلامى فى شبه القارة الهندية الباكستانية. ترجمة حسين مجيب المصرى ص ١٥٤.

(٢) محمد اكرام سانوى: حالى واكبر كاخصوصى مطالعه ص ٦٧، ٦٩.

(٣) صالحة عابد حسين. یادگار حالى ص ٢٧٥.

(٤) عبد القيوم: حالى كى اردو نشرنگارى ص ٢٩١.

متاثر باللغة العربية وأسلوبها البسيط السلمي ولا أحد يستطيع أن ينكر أن أسلوب نشر حالي يتميز بالقوة والبساطة والعذوبة والوضوح وقام حالي بتطوير النشر الأردى الحديث الذى وضع أساسه السير سيد وقدم خدمات جليلة للغة الأردية»<sup>(١)</sup>.

ويعتقد البعض أن أسلوب حالي مقلد لأسلوب كتابة السير سيد لكن هذا الاعتقاد خاطيء لأن حالي صاحب أسلوب متميز عن الكتاب الآخرين ويحاول الدكتور سيد عبد الله إثبات هذا الخطأ فيقول: «هناك أمر شائع أن أسلوب حالي هو تقليد لأسلوب السير سيد أحمد خان» ولكننا لا نستطيع أن نسلم بهذا الرأى، نعم أسلوب حالي يتشابه مع أسلوب كتابة السير سيد من بعض الوجوه ولكن أسلوب حالي يبقى مع ذلك متميزاً بعدة خصائص غير موجودة على الإطلاق فى أسلوب السير سيد، وهذه الخصائص تؤكد عدم صدق هذا الرأى وبمقارنة حالي برفقاء السير سيد الآخرين يتضح أن أسلوبهم يختلط فى كثير من الوجوه ويتشابه مع أسلوب السير سيد فى حين يبقى هناك فرق كبير بين أسلوب حالي والسير سيد فنجد ثلاثة خصائص فى أسلوب حالي موجودة فى أسلوب السير سيد مثل البساطة وعدم التكلف والاعتماد على المنطق وهذه الخصائص الثلاثة نجدها فى أساليب رفاق السير سيد، ولكن أسلوب حالي يبقى متميزاً عن أسلوب السير سيد، فأسلوب السير سيد بسيط وباهت وجاف أما أسلوب حالي على الرغم من بساطته إلا أنه يتميز بالرقه والصفاء كما يقل فى اسلوب حالي استخدام المنطق والغموض فى حين يتضح ذلك فى اسلوب السير سيد، ويستخدم حالي فى أسلوبه البراهين العقلية والأدلة ويتميز أسلوبه بالشاعرية المحلقة ولا يلتزم الخيطة فى تنقيح الفاظه، فى حين أن اسلوب السير سيد يتميز بالبداهة والخشونة والتنقيح اللفظى وبناء على هذه الاختلافات فى اسلوب كل من حالي والسير سيد يتضح مدى خطأ الرأى السابق فى أن اسلوب حالي يعتبر مقلداً لأسلوب السير سيد ويبدو من هذا أن حالي صاحب اسلوب خاص به لا يشاركه فيه أحد من أعضاء حركة على كرهه وعبارات حالي غاية فى السلاسة والبساطة والقوة والمتانة ولكنها ليست مثل تنوع عبارات آزاد ولارقه أسلوب نذير أحمد، ويعد حالي من أعظم كتاب النشر الأردى واسلوب حالي يقرب المعنى إلى نفس القارىء وهو خال من المحسنات البديعية والصنعة اللفظية ولا يستخدمها فى غير موضعها وكان يتجنب السرد وتنميق العبارات ويتحاشى المحسنات الظاهرة ولهذا السبب فعباراته بسيطة وواضحة ويمتاز أسلوبه بالقوة والفصاحة، وعباراته

(١) محمد إكرام سانوى: حالى واكبر كاخصرصى مطالعه ص ٦٨.

بالشراء ويعتبر حالي مؤسساً للنشر الأردى الحديث، وقد أحيا حالي أسلوب ميرزا غالب والسير سيد وتعتبر مؤلفاته من أفضل النماذج للأجيال القادمة<sup>(١)</sup>.

### حالي وفن كتابة التراجم:

هناك عدة تعريفات لفن كتابة التراجم منها أن التراجم «تاريخ مدون لحياة الأشخاص» و«فن ترجمة الحياة لشخص ما» و«الجنس الأدبى لقص ترجمان الأشخاص»<sup>(٢)</sup>.

و«فن التراجم أحد فروع التاريخ، ويحدد دريدن Dryden هذا الفن بأنه «التاريخ الذاتى لحياة الأشخاص». وقد أصبح فن التراجم كشكل أدبى أكثر شعبية منذ النصف الثانى من القرن السابع عشر وكان نادراً قبل هذا التاريخ، وفى الغالب فإن أى شكل من أشكال المادة المستعملة فى هذا الفن مناسبة لكاتب تراجم الأشخاص مثل: الموضوعات التى يكتبها أصحابها أنفسهم وبصفة خاصة اليوميات والخطابات والأرشيف الخاص به وذاكرة الكاتب والمعاصرين له علاوة على الصور والرسومات، ويمكن أن نجد جذور فن كتابة التراجم فى سير الملوك والأبطال وقصص الوصايا القديمة فى بلاد اليونان وسير ملاحم الأبطال والحكماء فى اسكندنافيا كما أن تعاليم رجال الدين تعتبر أحد فروع هذا الفن»<sup>(٣)</sup> وقد نال فن كتابة التراجم منزلة عظيمة فى آداب اللغات الكبرى فى العصر الحديث وقد تطور هذا الفن وزاد تأثيره باستخدام الأسلوب العلمى فى كتابته ومن الأمثلة على ذلك كتاب جونسن «حياة الشعراء الانجليز ١٧٧٩م وكتاب باسويل «حياة صومائيل جونسن» ١٧٩١م.

ويقول الدكتور عبد القيوم: التراجم الآن ليست فقط هى ميلاد الإنسان والأسرة والتعليم وأمور الحياة المختلفة حتى الوفاة بل هى بيان للحالة النفسية والاجتماعية والأخلاقية والعادات والتقاليد الظاهرة والباطنة للأفراد حتى تصبح قصة لإقبال الحياة عليه وإدبارها، وهى تصوير دقيق للتطور الفكرى والميول والنزعات والمحاسن والعيوب حتى يتكون لدينا تصور واضح عن هؤلاء الأشخاص وقد انتهت الآن فكرة الإنسان الكامل مثال الشرف والشهامة وأصبح الإنسان نموذجاً للعناصر البشرية المختلفة من الخير

(١) رام بابو سكسينه: تاريخ ادب اردو ص ٤٥٦.

(٢) مجدى وهبه: معجم مصطلحات الادب. بيروت ١٩٧٤ ص ٦٢.

(3) J.A. Cuddon, Adictionary of literary terms. New York 1976. P. 79-81.

والشر وهو مخطىء ومعصوم من الخطأ فى وقت واحد، ولم تعد التراجم كما هائلاً من الأحداث بل أصبحت أحد الإبداعات المتمعة وتقدم فى قالب قصص روائى وتمتلىء بملامح الحياة وصورها المختلفة»<sup>(١)</sup>.

وعلى الرغم من أن كتاب حالى «حيات سعدى» يعد أول ترجمة قائمة على أساس علمى فى الأدب الأردى إلا أن هناك كثيراً من النماذج فى العربية والفارسية والأردية قبلها نجد فيها النماذج الأولى لفن التراجم، وقد اختار حالى طريقة جديدة فى كتابة السيرة الذاتية والتي لم يخترها أحد قط من قبله فى الأدب الأردى واشتهرت هذه الطريقة حتى أصبحت نموذجاً يحتذى فى كتابة التراجم فى الأدب الأردى ويسير على منهجه كتاب التراجم، فلم يكتف حالى ببيان أحداث حياة البطل فقط، وذكر مناقبه بل يتناول بالنقد والتعليق جميع جوانب حياته الكاملة وسيرته وأخلاقه ويبين علاقته بعصره<sup>(٢)</sup>.

ويقول الدكتور غلام مصطفى خان: لقد أوصل حالى فن كتابة التراجم إلى القمة، ولم يضيف أحد آخر فى الأدب الأردى أى إضافات جديدة على الطريقة التى تركها حالى<sup>(٣)</sup> وستحدث فى الصفحات القادمة عن مؤلفات حالى فى فن التراجم.

## ١ - حيات سعدى:

هو أول كتاب فى التراجم ألفه حالى عن حياة الشاعر العظيم سعدى الشيرازى وقد نشر عام ١٨٨٦م ولكن هناك اختلافاً شديداً فى تحديد سنة تأليفه لأن حالى لم يذكر ذلك فى ترجمته، يقول: «كتبت فى دهلى كتاباً فى حياة ومؤلفات الشاعر سعدى الشيرازى وطبع باسم «حيات سعدى» ونشر قبل ذلك فى عشر طبعات<sup>(٤)</sup>» ولذلك تعددت الآراء فى سنة تأليفه فيقول حامد حسن قادري إن سنة تأليف هذا الكتاب هى ١٨٨٢م فى موضع من كتابه «داستان تاريخ اردو» ولكنه يعود ويذكر أن تأليف حالى لهذا الكتاب كان عام ١٨٨٤م<sup>(٥)</sup> فى موضع آخر، كما يذكر الشيخ محمد إسماعيل

(١) عبد القيوم: حالى اردونشرنگارى ص٤٠٤، ١٠٥.

(٢) صاحبة عابد حسين: يادگار حالى ص٢٧٨.

(٣) غلام مصطفى خان: حالى كاذهنى ارتقا ص١٨٢.

(٤) حالى: ترجمة حالى ص٣٤٢.

(٥) حامد حسن قادري: داستان تاريخ اردو. ص٥٨٦، ٥٩٠.

باني بتي أن حالي كتب هذا الكتاب غالباً في سنة ١٨٨٤م<sup>(١)</sup>، ويحدد الدكتور غلام مصطفى خان سنة ١٨٨٦م لتأليف كتاب «حيات سعدى» ويعتمد في هذا التحديد على قول شبلى النعماني الذي تضمن خطاباً لمولوى سميع الله<sup>(٢)</sup>. وكتب حالي بحثاً مفصلاً في مقدمة «حيات سعدى» عن تطور فن التراجم والإطار العام الذي يدور فيه هذا الفن وأهدافه فيقول: لقد اهتم المؤرخون الأوربيون بتطوير هذا الفن (التراجم) بصفة خاصة منذ القرن السابع عشر واصطبغ هذا الفن بالطابع الفلسفي مثل التاريخ، وقد اهتمت التراجم في العصر الحديث بالدقة العلمية وكتابتها والاعتماد على المعلومات الصحيحة والاستنتاجات المنطقية من سير أحداثها ودراسة مؤلفات أبطالها وإظهار محاسن هذه المؤلفات وعيوبها وبهذه الطريقة كتبت المجلدات الضخمة في حياة الكثير من الأشخاص والمشاهير<sup>(٣)</sup>.

ويقول حالي: كتبت أولاً سيرة الشيخ سعدى ولم يكن هناك أديب في الهند أكثر شهرة منه وفي رأى الخاص أنه لم يصل إلى مرتبته شاعر آخر من شعراء الفارسية<sup>(٤)</sup> ويتضح من هذا الرأى أن حالي كان يفضل سعدى عن باقى شعراء إيران لأن حالي رأى فيه نفسه حيث كان سعدى مهتماً بالجانب الاخلاقى والإصلاحى فى شعره ونثره، لذلك كان هدف حالي تقديم سيرة سعدى حتى ينهض المسلمون من تأخرهم بتعاليم هذا المصلح العظيم، ويقول حالي إن الهدف من «السيرة» هي أن تكون بمثابة السوط الذى يوقظ القوم من نوم الغفلة والتراخى وعندما يرى القوم سيرة أسلافهم العظماء ويلمسون فضلهم فإن دماء الغيرة تجرى فى عروقهم فينهضوا ليستعيدوا مجدهم المفقود مرة أخرى وترسخ هذه الفكرة فى أذهانهم<sup>(٥)</sup> وقد نجح حالي فى اختيار شخصية سعدى لأول نموذج للترجمة العلمية الجديدة فى الأدب الأردى حيث كانت شهرة سعدى ذاتعة الصيت فى الهند لقرون وكان كتاباه «گلستان وبوستان» مشهورين فى جميع أنحاء الهند ولا يوجد مشقف فى الهند لم يسمع عن سعدى أو لم يقف على قصصه وحكاياته ولم يثن عليها ولحياة سعدى حكايات جديدة تداولتها اللسنة وكانت

(١) شيخ محمد إسماعيل باني بتي: تذكرة حالي ص١١١، ١١٢.

(٢) غلام مصطفى خان: حالي كا ذهنى ارتقا ص١٠٣.

(٣) حالي: حيات سعدى ص٦.

(٤) حالي: حيات سعدى ص٧.

(٥) حالي: حيات سعدى ص٨.

اشعاره مضرِباً للأمثال وبالرغم من هذا لم تكن حياة سعدى الشخصية معروفة بشكل عام وانتشرت الأخبار المنحولة عن حياته فقام حالى بكتابة سيرته الصحيحة وعرف أهل الهند بها وكان حالى يكن حبا عميقاً لشخصية سعدى ولأشعاره وخاصة الإصلاحية والأخلاقية وتأثر حالى بها وهناك دلائل كثيرة على تأثره بشعر سعدى ولذا أطلق الناس عليه لقب «سعدى الهند»<sup>(١)</sup> وقسم حالى كتاب «حيات سعدى» إلى قسمين، القسم الأول يتعلق بحياة الشيخ سعدى الشيرازى المتوفى (٦٩١ هـ) ويذكر حالى فى هذا القسم وقائع طفولة سعدى وشبابه بأسلوب غاية فى القوة والمتعة وألقى الضوء على مختلف أدوار حياته<sup>(٢)</sup>. ويذكر حالى وصفاً دقيقاً لشيراز وفارس وأسفار سعدى العديدة وعودته مرة أخرى إلى إيران ووفاته فى بلده شيراز وقد استفاد حالى من كتب التذاكر والمؤلفات التى تناولت حياة سعدى مثل نفحات الأنس، جواهر الأسرار، تاريخ جهان گشا، تاريخ وصاف، مجالس المؤمنين، تذكرة سودا، تذكرة قاسم، بالإضافة إلى مقدمة كليات سعدى<sup>(٣)</sup>. ويذكر حالى البيئة التى عاش فيها سعدى وأثرها فى حياته وتفكيره فيقول: لا شك أن للموقع الطبيعى للمدينة واعتدال مناخها وجمال مبانيها وأسلوب تفكير سكانها له أثره الواضح على حياة الأفراد ولهذا السبب تميز شعراء شيراز وعلماءها بصفاء الطبع وقد مدح سعدى فى مقدمة كتابه «بوستان» جميع أهل شيراز<sup>(٤)</sup>. وفى القسم الثانى تناول حالى مؤلفات سعدى ومميزات أدبه وبحث فى خصائص شعره وقارن بينه وبين شعراء إيران الآخرين ووازن بين أشعارهما وأثبت تفوق أشعاره لجمالها وحسن صناعتها وذكر آراء النقاد المختلفة فى شعره وشبه أشعاره بأشعار شيكسبير ويفضل حالى القول بعد ذلك فى فنون شعره وخاصة الغزل والقصيدة ويقارن بين طريقة غزل سعدى وطريقة القدماء ويحدد مواطن الجودة فى غزلياته<sup>(٥)</sup>. ويذكر حالى الترجمات المختلفة لكتابه «بوستان وگلستان» إلى اللغات الأخرى مثل ترجمة كلارك للبوستان إلى اللغة الإنجليزية عام ١٨٧٩م وترجمة چندداس مهاجن لـ «گلستان» عام ١٨٨٨م<sup>(٦)</sup>. وقد نال هذان الكتابان أهمية خاصة فى نظام تعليم المسلمين فى الهند وإيران فترجم كتابه

(١) صاحبة عابد حسين: يادگار حالى ص٢٧٩، ٢٨٠.

(٢) صاحبة عابد حسين: يادگار حالى ص٢٨٠.

(٣) غلام مصطفى خان: حالى كا ذهنى ارتقا ص١٠١.

(٤) حالى: حيات سعدى ص١٣.

(٥) عبد القيوم: حالى كى ارد ونثر نگادى ص١٢٤، ١٢٥.

(٦) غلام مصطفى خان: حالى كا ذهنى ارتقا ص١٠٢.

«بوستان» إلى اللغة الأردية شعراً وقام بهذه الترجمة المعروفة بـ «بند نامه (\*)» الأديب مظهر على خان، وقام مشير على أفسوس بترجمة «الكلستان» إلى الأردية باسم «باغ اردو» وقد نشرت هذه الترجمة كلية فورت ولیم عام ۱۸۰۲ (۱).

وقد أرسى حالي حجر الأساس لكتابة التراجم في الأدب الأردی الحديث والقائمة على أساس علمي وقد قلده الكتاب الذين جاءوا من بعده وحتى الآن فإن نماذجه في هذا الفن تعتبر أمثلة يحتذى بها ولم تضاف حتى الآن في الأدب الأردی أي قواعد جديدة لهذا الفن (۲). ويقول رام بابوسكسينه: بهذا الكتاب (حياة سعدی) وجد حالي مكانة في طليعة كتاب النثر الأردی ويبدو منه جيداً أسلوبه المميز ومقدرته الفائقة في كتابة المترجم (۳).

## ۲ - یادگار غالب :

«سيرة ميرزا أسد الله غالب» وهو ثاني كتاب لحالي في التراجم، وكان حالي يريد أن يؤلف كتاباً في حياة أستاذه غالب أثناء إقامته في دهلي وعمله في المدرسة الانجلو عربية وقام في ذلك الوقت بجمع مواد كتابه ولكنه لم يستطع أن يرتبها بسبب كثرة مشاغله وأنهماكه في إعداد كتاب «حيات جاويد» الذي كان حالي يأمل في نشره قبل وفاة السير سيد لكن بالرغم من ذلك تمكن حالي من «كتابة كتاب عن حياة ميرزا غالب ويتضمن أيضاً بحثاً في خصائص شعر غالب ومختارات من شعره ونثره الفارسي والأردی ونشر باسم «یادگار غالب» (۴) في عام ۱۸۹۷م (۵) بمطبعة نامی بريس كانبور

---

(\*) بند نامه «أو» بند عطاء وهو كتاب صغير في النصائح والمواعظ ترجم إلى التركية والعربية وشرح مراراً. (عبد الوهاب عزام: التصوف وفريد الدين العطار، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ۱۹۴۵م ص: ۶۵).

(۱) عبد القيوم: حالي كى اردو نثر نگارى ص ۱۲.

(۲) محمد إكرام سانوي: حالي واكبر كا خصوص مطالعه ص ۷۹، ۸۰.

(۳) رام بابوسكسينه تاريخ ادب اردو ص ۴۵.

(۴) حالي: ترجمة حالي ص ۳۴۲.

(۵) انظر إسماعيل بانى پتى في «تذكرة حالي» ص ۱۱، وعبد القيوم: «حالي كى اردو نثر نگارى ص ۱۴ وحماد حسن قادري «داستان تاريخ اردو» ص ۵۸۶، وخليل الرحمن داودى «مقدمته على كتاب بادگار غالب» ص ۴۳، وغلام مصطفى خان «حالي كا ذهنى ارتقا» ص ۱۶۳ ولكنه ذكر في صفحة ۱۶۰ سنة الطبع هي ۱۸۹۸م في مطبعة نامی بريس كانبور في ۴۳۸ صفحة وذكر رام بابو سكسينه في كتابه «تاريخ ادب اردو» أن سنة الطبع هي ۱۸۹۶م ص ۵۳.

ويقول حالي في مقدمته «بالرغم من انهماكى فى انجاز عمل هام جداً ( كتاب حيات جاويد ) إلا أن اصرار الأصدقاء أجبرنى على تأخير هذا العمل الهام لعدة أيام، واستطعت فى فترة وجيزة ترتيب مذكرات حياة غالب التى جمعتها بصعوبة شديدة، فلم يعد الوقت مناسباً لترك هذا العمل أكثر من هذا»<sup>(١)</sup> «ويقول الأستاذ خليل عبد الرحمن داودى إن « يادگار غالب » يعد رد فعل لكتاب محمد حسين آزاد «آب حيات» والذى قام فيه آزاد بشرح مفصل ومبسط لحياة أستاذه إبراهيم ذوق وحاول فيه إثبات تفوق شعره على جميع شعراء الأردية وقارن بينه وبين ميرزا غالب لإثبات أستاذية ذوق فى الشعر الفارسى مثل غالب ولكنه انحاز بشكل واضح فى كتابه «آب حيات»<sup>(٢)</sup> إلى جانب أستاذه ذوق عندما كتب عنه فى ٦٥ صفحة بينما كتب عن غالب فى ٣٦ صفحة فقط ونشر آزاد كتابه «آب حيات» عام ١٨٨٠م وعندما قرأه حالى اضطرب وقرر أن يكتب كتاباً ضخماً فى سيرة أستاذه غالب وفى شرح أشعاره فكان كتابه « يادگار غالب»<sup>(٣)</sup>.

ويقول حالى فى مقدمته «على الرغم من أنه لم يبد لميرزا غالب أى عمل عظيم فى حياته سوى شعره ونشره إلا أن له آخر هاماً وهو تسجيل الوقائع التاريخية فى آخر أيام الدولة المغولية ( فى عهد بهادر شاه ظفر فقد كان غالب أستاذاً لبهادر شاه ظفر وكان يقوم بمهمة إصلاح شعره خلفاً لأستاذه إبراهيم ذوق، وقد دون غالب وقائع عصره فى كتاب «مهرنيم روز» أى شمس الظهيرة ) وفى اعتقادى –والكلام ما زال لحالى– أن الشعر والنثر الفارسى قد ماتا بموت غالب الذى قدم خدمات جلية أيضاً للنثر والشعر الأردى ولم تكن أشعار أسمى من فهم أهل عصره بل كان ينظم أشعاره طبقاً لما تمليه عليه قريحته»<sup>(٤)</sup> ثم يقول حالى إن الهدف الأسمى من تأليف « يادگار غالب » هو: إظهار ملكة شاعريته العجيبة للناس والتى أودعها الله فى فطره غالب وقريحته والتى أحياناً تبدو فى شكل الشعر والنثر أو الفكاهة والسخرية وأحياناً تبدو فى صورة المغازلة ومعاقرة الخمر وأحياناً أخرى تظهر فى أسلوب التصوف وحب أهل البيت وأى شىء خارج عن هذه الأسباب الأربعة يعتبر خارجاً عن موضوع هذا الكتاب»<sup>(٥)</sup>. ويقول

(١) حالى: يادگار غالب ص ٤.

(٢) محمد حسين آزاد: آب حيات ص ٣٩٥.

(٣) خليل الرحمن داودى: مقدمته على يادگار غالب ص ٣٤.

(٤) حالى: يادگار غالب ص ٤٢٣.

(٥) حالى: يادگار غالب ص ١٠، ٩.

حالى « على الرغم من أن حياة غالب لا تخلو من الفوائد التى يجب أن نخرج بها من دراسة أحد التراجم لكن إذا تغاضينا عن هذه الفوائد فإن الحيوية والنضارة فى بيان حياته تفيد فى كثير مجتمعنا الكئيب والمضمحل»<sup>(١)</sup> وكان حالى ينسى فى أى من أعماله مهمة الأدب الإصلاحية التى كانت دائماً فى مقدمة أعمال حالى . ويادگار غالب كما يقول حالى فى مقدمته ينقسم إلى قسمين يتناول حالى فى القسم الأول وقائع حياة ميرزا غالب وعاداته وتقاليده وأخلاقه وأفكاره مع ذكر نماذج من شعره فى المناسبات المختلفة وخاصة الأشعار التى تتعلق بوقائع حياته المختلفة وذكر طرائفه ونوادره والذى تبدو منها قوة مخيلته بوضوح، وفى القسم الثانى يتناول خصائص شعر غالب ونثره الفارسى والأردى ويقيم دراسة منفصلة لكل فنونه وموضوعاته المختلفة ثم يقيم فى النهاية موازنة بين شعره وشعر شعراء إيران الكبار وفى نهاية هذا القسم بحث مختصر عن حياة غالب وأسلوب نثره وشعره والذى يعتبر خلاصة للكتاب»<sup>(٢)</sup>.

وكان غالب أستاذاً لِحالى وتأثر كثيراً بحياته وشخصيته وجمال شعره ورأى حالى ذوق عصره المنحط فاختر غالب وقارن بينه وبين شعائير عصره وعرف الناس بخصائص شعره ومنزلته الصحيحة وبهذا يهذب من ذوقهم الشعرى وكان العامة لا تستطيع أن تفهم أشعاره بسهولة باستثناء الخاصة لذلك قام حالى بشرح معان من مختارات شعر غالب ووضع معانيه الصعبة والمعقدة بشاعريته فضاعف من جمال أشعاره، وصور حالى شخصية غالب الجذابة والمتعة بحيث يتأثر بها كل من يقرأها وتنشأ فى قلبه روح الحب والتقدير له تلقائياً وكأنه فى بلاط ملك الشعراء وينعم بصحبته، وفى الجزء الثانى من كتابه يشرح حالى بالتفصيل دقائق شعر غالب ومذهبه الشعرى ومحسناته البديعية ودقة لغته وجدة أخيلته وكشف أسرار شعر غالب وتغييره للذوق الشعرى فى الهند»<sup>(٣)</sup>.

ويقول مولانا عبد الحق: لقد صور حالى بدقة وجمال ملامح حياة ميرزا غالب فى يقطته ونومه وحديثه وطعامه وضحكه وسفره وفكاهته بحيث يبدو وكأننا نجلس فى صحبتته ونستمتع بعذب حديثه وبمحاسن شعره وقد عرضه حالى بطريقة جذابة بحيث تظهر معانيها الخفية للعوام والخواص، ويفضل هذا الكتاب قامت دراسات عديدة عن شخصية غالب وشعره فكتبت فيه مئات المقالات وعشرات المجلات وظهرت شروح

(١) حالى: يادگار غالب ص ٩، ١٠ .

(٢) حالى: يادگار غالب ص ٩ .

(٣) صالحه عابد حسين: يادگار حالى ص ٢٨٣، ٢٨٤ .

مختلفة لأشعاره وطبع ديوانه الأردى عشرات الطبعات وما زال وقد كتب حالى هذا الكتاب بعد أن انتهى من ترتيب ديوانه ومقدمة شعر وشاعرى والانتهاى من إعداد كتاب «حيات جاويد» وقد أكمل حالى فى كتاب «يادگار غالب» دراسته عن الشعر ونقده وشروط جيده من رديمه والتي كان قد بدأها فى نهاية كتابه «حيات سعدى» وذكرها بالتفصيل فى مقدمة شعر وشاعرى التى طبعها مع ديوانه كمقدمة له<sup>(١)</sup>.

ويقول بعض النقاد والمعترضين إن حالى يرفع ممدوحه إلى عنان السماء ولكن هذا الرأى هو عكس الحقيقة لأنه يبدو من أسلوب حالى الاعتدال والعدل إلى حد كبير فعندما يشير إلى محاسن الممدوح لا ينسى أن يبين مساوئه، صحيح أن حالى لم يعرض ورقة اتهام للمساوىء البشرية وقام ببيان العلاقة التى كانت تربطه بغالب والمراسلات التى استمرت بينهما واعترف حالى فى كتابه «يادگار غالب» بسوء أدبه فى رده على أستاذه وعدم احترامه لكنه فى نفس الوقت عرض مساوىء غالب مثل تعصبه وعدم تمسكه بأحكام الدين فى الظاهر وشرح حالى مقولة «أنه كان تقياً فى الباطن وعريداً فى الظاهر» وأظهر حالى الجانب الشيق والفكاهى فى حياة غالب وأنعم عليه بلقب «حيوان ظريف» بدلاً من حيوان ناطق<sup>(٢)</sup>.

ويقول الناقد آل أحمد سرور تعليقاً على كتاب «يادگار غالب»: لقد ظلت معرفة شعر غالب فى عصره محدودة بالخاصة لكن كان لكتاب حالى «يادگار غالب» الفضل فى تصوير عظمه غالب وتوصيلها لفهام العوام وكان ما يمتاز به نقده هو الاعتدال فهو ليس عبد الرحمن بجنورى الذى يرفع غالب فى السماء أو لطيف\* الذى يهبط به إلى الأرض ويتهمه بعدم التوافق وقد أشاد بذكر غالب جميع النقاد حتى أن الشيخ إكرام صاحب كتاب موج كوثر قرر أن أكثر نقد عادل لغالب يوجد فى كتاب حالى «يادگار غالب»<sup>(٣)</sup>. ويشيد المؤرخ رام بابو سكسينة فى كتابه «تاريخ ادب اردو» بكتاب يادگار غالب فيقول: إنه أشهر مؤلفات حالى ولم يكتب فى هذا الموضوع أى كتاب أفضل منه، ومن مزايا هذا الكتاب أن مؤلفه حالى كان تلميذاً لميرزا غالب لذلك؛ فقد رأى بعينه

(١) غلام مصطفى خان: حالى كا ذهنى ارتقا ص ١٦٣.

(٢) صالحه عابد حسين: يادگار حالى ص ٢٨٧، ٢٨٨.

(\*) هو عبد الرحمن بجنورى الذى اعتبر «ديوان غالب» كتاب مقدس مثل القيما عند الهندوس \* الدكتور

عبد اللطيف (عبد القيوم): حالى كى ارد ونثر نگارى ص ٢٠٠.

(٣) صالحه عابد حسين: يادگار حالى ص ٢٨٤.

أكثر هذه الأحداث ويفهم معاني أشعاره الصعبة ويبين المناسبات التي ألفت فيها هذه الأشعار مما يضاعف من جمال شعره وبهذا الكتاب أدى حالي حق التلمذة لاستاذة غالب كما يجب، مثلما فعل آزاد فعندما رتب ديوان أستاذة إبراهيم ذوق أصبح ذوق شاعر خالد الذكر، وكلاهما يعتبر من أقرب التلاميذ لاستاذة وأنجبهم ويعتبر كتاب «يادگار غالب» من الكتب النقدية الممتازة<sup>(١)</sup>. وقبل حالي كانت هناك عدة كتب ألفت الضوء على أهمية شعر غالب مثل: «آب حیات» محمد حسين آزاد و«گلشن بے خار» لنواب شيفته و«آثار الصناديد» للسرسيده أحمد خان ولكن هذه التذاكر تناولت غالب بصفة سطحية ولم تفض في معاني شعره وفلسفته<sup>(٢)</sup>.

### ٣ - حیات جاويد :

«الحياة الخالدة» وهو سيرة السير سيد أحمد خان، وثالث كتاب الحالى فى سلسلة كتب التراجم وآخر كتاب له فى هذا الفن. وهو ترجمة صادقة لسيرة أحد عظماء القرن التاسع عشر وبحث دقيق لوقائع حياته المختلفة وذكر لعيوبه ومحاسنه وهو ليس سيرة أحد المصلحين فحسب بل قصة التغيرات الحضارية والسياسية والتعليمية فى شبه القارة الهندية فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر<sup>(٣)</sup>.

ويقع هذا الكتاب فى ألف صفحة تقريباً وهو نتيجة جهد حالى لسبع سنوات متواصلة وقد نشر فى سنة ١٩٠١ «وقد ظهرت فكرة كتابه سيرة السير سيد عندى فى ذلك الوقت عندما وضع السير سيد حجر الأساس لأعظم أعماله وهى مدرسة العلوم بعلى گرطه والى تطورت سريعاً جداً على الرغم من المعارضين لها وواكب هذه المدرسة أيضاً مقالات السير سيد الممتعة فى مجلته «تهذيب الأخلاق» والى لم يكن لها مثيل فى النشر الأردى من قبل، وعلى الرغم من أن السير سيد قضى معظم حياته فى أعمال للصالح العام لكن كان مثله كهلال أول ليلة الذى لا يراه أحد ولكن سرعان ما أصبحت «مدرسة العلوم» ومجلة «تهذيب الأخلاق» بجهوده منارتين تضيئان للجميع كالبدر وعلى الرغم من انتشار المعارضة فى الهند لأعمال السير سيد إلا أن هناك جماعة من الناس تنظر بعين التقدير لأعمال السير سيد الإصلاحية وفى اعتقادى أن أهميتها ستزيد

(١) رام يابوسكسينه: تاريخ ادب ارد و ص ٤٥٥ .

(٢) عبد القيوم: حالى كى ارد ونثرنگارى ص ١٩٣ .

ومحمد اكرام سانوى: حالى واكبر كاخصوصى مطالعه ص ٨٠، ٨١ .

(٣) عبد القيوم: حالى كى ارد ونثرنگارى ص ٢٠١ .

يوماً بعد يوم»<sup>(١)</sup> ثم يقول حالى إنه من العجيب أن مثل هذه السيرة الجديرة بالفخر التى كان تدوينها واجباً قومياً على المسلمين جاءت أول فكرة لكتابتها من أحد الإنجليز وهو كرنل جراهام بكتابة «سيرة السير سيد» ونشره قبل وفاته بثلاثة عشرة سنة وبذلك ضاعت المبادرة من أيدي المسلمين فى هذا الموضوع الهام ويجب أن نشكره من قلوبنا فعلى الرغم من كونه أجنبياً إلا عظم قائدها وكان أول من كتب سيرته، ولكن سيرة هذا الشخص العجيب لا تستطيع أن تحتل وتؤدى فى كتيب مثل هذا ولذلك أشار كرنل جراهام فى أحد الصحف الإنجليزية بقوله: إننى لا أستطيع أن ادعى أن هذا الكتاب هو ترجمة كاملة لحياة السير سيد «وبذلك تهيأت الظروف لحالى لكتابة هذه السيرة لأنه كان يرى أن سيرة كرنل جراهام: "Life and Works of sir syed Ahmed" غير كاملة وهذا بشهادة جريهم نفسه<sup>(٢)</sup>. ويقول حالى «لقد كان هذا الأمل يراودنا من قبل (كتابة سيره السير سيد) والآن عمت الهند ضجة عارمة بعد وفاة السير سيد وبدأ الاهتمام يتزايد بتقدير أعماله والبحث والتحقيق فى وقائع حياته، وسيحاول العديد من الناس أن يكتبوا سيرته وستغنى الهند بسيرة هذا البطل لقرون عديدة»<sup>(٣)</sup> وبالفعل كما قال حالى فقد قام منشىء سراج الدين أحمد بمحاولة كتابة سيرة السير سيد وبدأ بالفعل فى جمع المعلومات المختلفة عنها ولكنه لم يكملها وبذلك مهد كل من كرنل جريهم ومنشىء سراج الدين أحمد الطريق أمام حالى لكتابة السيرة الكاملة للسير سيد وأعماله ويقول حالى: «لقد تحمست لهذا العمل لأن سيرة السير سيد تعتبر مفيدة لقومه فهمت على ترك جميع الأعمال لا تفرغ لهذا العمل القومى ولذلك أقمت فى على كرنل لعدة شهور عام ١٨٩٤م لهذا الغرض حيث جميع الأسباب مهيئة لكتابة سيرة السير سيد وقد قمت بالإطلاع على مسودات منشىء سراج الدين أحمد واستفدت منها»<sup>(٤)</sup> وقد اعتمد حالى فى تأليف هذا الكتاب على المعلومات الشخصية فقد نال شرف صداقة السير سيد قرابة خمسة وعشرين عاماً وكان من المقربين له واستطاع فى هذه السنوات الطويلة أن يطلع بدقة وعن قرب على أخلاق السير سيد وطريقة تفكيره، كما اعتمد على رسائله وعلى السيرة الفريرية بالإضافة إلى المعلومات التى جمعها منشىء سراج الدين واستفاد أيضاً بكتاب كرنل جراهام<sup>(٥)</sup> ويقول حالى: على الرغم من أن حياة السير سيد تعتبر

(١) حالى: حيات جاويد المقدمة ص ١٤، ١٥.

(٢) حالى: حيات جاويد المقدمة ص ١٤.

(٣) حالى: حيات جاويد المقدمة ص ١٥، ١٦.

(٤) محمد اكرام سانوى: حالى واكبر كاخصوص مطالعه ص ٨٨.

عملاً سهلاً وميسراً في الظاهر لأن جميع أعماله كانت تطبع وتنتشر منذ كان في السابعة والخمسين من عمره وإلى آخر حياته وقبل ذلك كانت وقائع حياته معروفة من المصادر المؤثوقة إلا أن كتابة سيرة حياته تعتبر عملاً شاقاً لأن حياته مليئة بالأحداث والوقائع الهامة التي لا يستطيع اختصارها كما لا يستطيع تفصيل كل واقعة<sup>(١)</sup> ومع أن حالي كتب في التراجم كتابين قبل «حيات جاويد» وهما «حيات سعدى» و«يادگار غالب» إلا أنه اختار منهاجاً جديداً في هذا الكتاب حيث يقول: كنت أظهر في الكتابين اللذين قد كتبتهما من قبل بقدر الإمكان الجانب الحسن فيهما وفي إشعارهما ولم أتعرض لعللها في مكان ما، ولكن مثل هذه السيرة الذاتية المطلية بالذهب والفضة ليس لها وزن أو اعتبار، لكن في حالة الكتابة عن هذه الشخصية (السير سيد) لا يستطيع أن يكتب حياة مثل هذا الشخص سراً وهو الذي قاوم الجهل والتعصب قرابة أربعين سنة واستاصل التقليد ووبخ كبار علماء التفسير واختلف مع الأئمة والمجتهدين وأظهر علل المجتمع لذا فهو من ناحية الدين مؤمن في نظر طائفة من الناس وكافر في نظر الأخرى ومن ناحية السياسة يعتبر قائد العصر عند جماعة وعند أخرى ليبرالي يؤمن بالتححر<sup>(٢)</sup> وقد واجه حالي مشاكل عديدة وصعوبات جمّة في ترتيب كتابه «حيات جاويد» فكان مرضه يقلقه بالإضافة إلى مشاكله الأسرية وقد أقام بمفرده في على نگر طه وظلّ ينجز هذا العمل رغم شيخوخته حوالى سبعة سنوات وكتب في أحد خطباته يقول: لم تفر همتي طيلة سبع سنوات ولم أهتم بأى عمل آخر سوى هذا العمل «وفي الحقيقة لا يوجد كتاب في السيرة (التراجم) في الأردية مثل هذا الكتاب الذي تم نتيجة جهد حالي الجهيد وبحثه المتواصل<sup>(٣)</sup>.

ويقول حالي: إن هذا الكتاب مقسم إلى قسمين، أتناول في القسم الأول حياة السير سيد وأعماله منذ ميلاده حتى وفاته طبقاً للترتيب الزمني، والقسم الثاني بحث في حياته وأعماله مع الاهتمام بالدور البارز من حياته والذي يبدأ من وقت اندلاع الثورة واعتمدت في ذلك على كتابه «خطبات أحمدية» ومجلتي «تهذيب الأخلاق» و«مجلة معهد على نگر طه» ورسائل السير سيد وبعض الأخبار أخذتها من أصدقائه أو

(١) حالي: حيات جاويد: المقدمة ص ١٦.

(٢) حالي: حيات جاويد. المقدمة ص ١٧، ١٨.

(٣) غلام مصطفى خان: حالي كا ذهنى ارتقا ص ١٦٩.

من التقارير الحكومية والجرائد الإنجليزية ومن المصادر الموثوق بها»<sup>(١)</sup>.

وقد قام حالى بتمجيد أعمال السير سيد ولكنه أشار إشارة عابرة إلى عيوبه وتناول أعماله الشهيرة بالبحث مثل «خطبات أحمدية» و«أسباب بغاوت هند» إلى جانب تفسيره للقرآن والإنجيل والتوراة وقد اقتبس من كتبه وعلق عليها ونقدها بل ووازن بينها وبين الكتب الأخرى المشابهة لها كما ذكر آراء المشاهير فيه وفى أعماله الإصلاحية ومؤلفاته<sup>(٢)</sup>.

وكان حالى يحب فى سيرة السير سيد هدفه السامى وخدماته الجليلة للوطن ويعتبر أن ما أداه السير سيد فى حق المسلمين طيلة حياته عملاً مجيداً وكان يريد أن يبين للناس بوضوح وصدق، خدمات السير سيد فضائله ليتعلموا منه العبرة ويتأسوا به فى خدمة مجتمعهم ولم يكن هدفه سرد مناقب السير سيد، وقد أدى حالى فى هذا الكتاب واجب الناقد والمؤرخ على أحسن وجه وعرض أعمال السير سيد من وجهة النظر الفلسفية<sup>(٣)</sup>.

وقد اعترض شبلى النعمانى على كتاب «حيات جاويد» عندما قرأه، وقال أنه مدح مبرهن ومرآة للكذب والنفاق فقد كان شبلى من المعارضين للسير سيد لذلك هاجم السير سيد وحالى هجوماً شديداً، فيقول «إن حالى يباليغ فى مدح بطل هذه السيرة الذاتية (أى سيرة السير سيد أحمد خان) وهذا نابغ من تعاطفه التام معه فلم يلتزم الموضوعية فى عرض سيرة حياته وأعماله ولم يتعد هذا الكتاب عن كونه تضخيم لصورة البطل والأعمال التى قام بها وطريقة تعامله من الأحداث العديدة التى مر بها فى تاريخ كفاحه الطويل، وقد قام حالى بإبراز الجوانب الطيبة فى سيرة حياته وتحاشى الحديث عن عيوبه وعن الأعمال التى لاقت معارضة شديدة من فئات عديدة ومن الاتجاهات المختلفة لمسلمى الهند»<sup>(٤)</sup>.

وقد علل غلام مصطفى خان<sup>(٥)</sup> نقد شبلى النعمانى لكتاب حالى «حيات جاويد» وللسير سيد بأنه كان يصفرهما وقد بدأت أعماله العلمية متأخرة بالمقارنة بحالى والسير

(١) حالى: حيات جاويد المقدمة ص ١٨، ١٩.

(٢) حالى واكبر كاخصوصى مطالعه ص ٨٩.

(٣) صالحه عابد حسين: يادگار حالى ص ٢٩١-٢٩٢.

(٤) شبلى النعمانى: باقيات شبلى ج ٢ ص ٧٧ (مجلس ترقى أدب، لاهور، ١٩٦٦).

(٥) غلام مصطفى خان: حالى كاذهنى ارتقا ص ١٧٠-١٧١.

سيد لذلك انتقدتهما انتقاداً شديداً. ونلاحظ هنا أن غلام مصطفى خان قد تهرب من الأسباب الحقيقية لنقد شلى بهذا السبب الساذج، في حين رفضت صاحبة عابد حسين أن يكون كتاب «حيات جاويد» مدحاً مبرهاً بسبب لا يقل سذاجة عن السبب الذي ذكره غلام مصطفى خان فتقول: إن من الطبيعي أن يقلل الإنسان من عيوب صديقه وصاحبه قليلاً ويبرز محاسنه كثيراً ولهذا كان جانب المدح للسير سيد في كتاب «حيات جاويد» ضخماً وكبيراً وليس هذا موضع تعجب<sup>(١)</sup>. ويتفق رام بابوسكسينه مع شلى في رأيه فيقول: يوجد في كتاب «حيات جاويد» مبالغة في مدح البطل «السير سيد» ولهذا فإن اعتراض شلى ونقده لهذا الكتاب يعتبر في موضعه تماماً لأن حالى يوضح في هذا الكتاب أحد الجوانب الشخصية للسير سيد فقط وهو الجانب الحسن ويتغاضى عن عيوبه ولا يعيرها أى اهتمام، ولكنه يعود ويثنى على الكتاب فيقول: إن هذا الكتاب هو أظم كتب حالى على الإطلاق وعن طريق نال الشهرة وهو أحد الكتب المفصلة والجامعة وفيه يوضح مختلف مراحل حياة السير سيد الطويلة وقد حصل هذا الكتاب في اللغة الأردية على نفس مكانة كتاب باسويل Boswell الشهير «حياة الدكتور جونز»<sup>(\*)</sup> في اللغة الإنجليزية وقد عرض حالى في هذا الكتاب مختلف جوانب شخصية السير سيد المختلفة كقائد ورائد ومرشد ومدير وكاتب ووضح في هذا الكتاب أيضاً وقائع حياة أكثر رفاق السير سيد<sup>(٢)</sup> ويقول آل أحمد سرور: لم يقدم حالى في كتابه «حيات جاويد» السير سيد فقط بل قدم التاريخ الفكرى للمجتمع كله وقد أبدى حالى مهارة فائقة في جمع وترتيب مواد الكتاب وكان يرى أن روح الإصلاح الدينى هى المحرك والحافز لجميع أعمال السير سيد ولذلك اهتم بخدمات السير سيد

(١) صاحبة عابد حسين: يادگار حالى ص ٢٩٢.

(\*) قام توماس باسويل (١٧٤٠-١٧٩٥) Tomes Boswell عام ١٩٧١م بكتابة سيرة حياة صومائيل جونسون "SAMUEL JOHNSON" ١٧٠٧-١٧٨٤م فى كتاب يحتوى على خمسمائة صفحة من القلع الكبير تحدث فيه عن حياة جونسون ومؤلفاته والقى الضوء على جميع جوانب حياته للمتعبة وقد نشر هذا الكتاب فى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥٢م باسم life of Samuel Johnson أى حياة صومائيل جونسون وكان جونسون شاعراً إنجليزياً وناقداً وكاتباً للمقال ومصلحاً ومؤلفاته لغوياً ومن أهم كتبه الشعرية «لندن» ١٧٣٨ «وغرور التطلعات الإنسانية» عام ١٧٤٩م وقد ظل شعره حتى منتصف القرن الثامن عشر تقليداً للسخرية الأدبية.

- Tomes Boswell, life of Samuel Johnson, U.S.A. 1952 P.Vj, Vx.

- English Larouse. Paris: 1968. P. 620.

(٢) رام بابو سكسينه: تاريخ أدب اردو، ص ٤٥٥.

لدينية، فالتأييد والمناصرة شيء ضرورى فى كتابة السيرة الذاتية وبدونها لا يستطيع كاتب التراجم أن يفهم حالة البطل النفسية بطريقة جيدة وهذا العامل متوافر عند حالى ولهذا يقال أن كتابه هو كتاب « المناقب » أو « المدح المدلل والمبرهن » والتصوير من جانب واحد، مع أن هذا هو حجر الزاوية فى « كتابة التراجم ». ولغة « حيات جاويد » وأسلوب كتابته سلسه للغاية وغير معقدة وتتسلسل فى سهولة ويسر، وبلاغة حالى وفصاحته فى كتاب حيات جاويد « تنساب كالد موع الغزيرة وكل لفظ بمثابة الفص المرصع الذى لا تستطيع نزعته من مكانه » وعلى الرغم من هذه المميزات التى نال بسببها كتاب « حيات جاويد » شهرة فائقة إلا أنها لم تكن بنفس شهرة كتب حالى الأخرى وسبب ذلك أن الناشرين وبائعى الكتب فى الهند لم يهتموا به من أول يوم صدوره لأن اهتمامهم كان منصّباً على جمع المال من الكتب الأكثر مبيعاً، من أجل ذلك لم ينشر الكتاب بالقدر الذى كان حالى يتوقعه علاوة على أن ضخامة الكتاب كانت سبباً فى عدم شهرته والناس فى العصر الحديث تفضل الكتب المختصرة البسيطة(\*)، كما كان انتشار سوء الفهم حول شخصية السير سيد سبباً هاماً فى تجاهل هذا الكتاب<sup>(١)</sup> وبذلك يبقى لحالى مؤلف واحد هو « مقدمة شعر وشاعرى وسوف اتناوله بالتفصيل فى الباب الثانى .

---

(\*) قام سليم اختر بتلخيص كتاب « حيات جاويد » فى مائتى صفحة من القطع الصغير ونشره عام ١٩٧٩م فى لاهور وقد اعتمدت على هذه النسخة .

(١) صاحبة عابد حسين : يادگار حالى : ص ٢٩٣-٢٩٤ .

## ثانياً: شعر حالي

ترك حالي ثروة شعرية ضخمة تنوعت فيها موضوعات الشعر، فنظم في الموضوعات الأخلاقية والدينية والتعليمية والاجتماعية والقومية وفي الدفاع عن المرأة وشعر الأطفال وشعر المناسبات وفي المدح وشعر الطبيعة إلى جانب موضوعات الغزل، وتعددت الأجناس الأدبية والفنون الشعرية المختلفة بتنوع هذه الموضوعات وقد نظم حالي شعره في معظم فنون الشعر الإردى مثل فن الغزل، القصيدة، والقطعة، والمثنوى، والرباعي، وتركيب بند، وترجيع بند والمخمس والمسدس، والرثاء ودوبيت وغيرها. وقد قام حالي بالتجديد في موضوعات الشعر الأردى وحدث تغييرات هائلة في الشكل والمضون ومن ثم يعتبر رائد للشعر الجديد، وتأثر حالي بأستاذه ميرزا غالب كما استفاد كثيراً من مصطفى خان شيفته لأنه «يكره المبالغة في الشعر وكان يعتبر أن أجود الشعر ما يعبر عن الواقع بصدق وبساطة مع الالتزام بحسن العرض وتجنب الألفاظ السوقية الدنيئة والعبارات العامية وهذا ما كان ينفر منه غالب» وقد ظل حالي ينظم أشعاره وخاصة وشعر الغزل على الطريقة القديمة حتى التقى بالسير سيد أحمد خان عام ١٨٧١م فحدث تغير هائل في شعر حالي وبدأ ينظم الشعر الهادف أن وجهه السير سيد إلى ذلك بقوله: «إنه من المفيد لو وضحت بالشعر حالة ضعف المسلمين وتأخرهم في الوقت الحالى»<sup>(١)</sup> لذلك نظم حالي مسدس «مد وجزر إسلام» ولم يكن «أحد قد نظم شعراً من أجل إيقاظ المسلمين وتنبههم»<sup>(٢)</sup> وبذلك خرج حالي عن نطاق الشعر التقليدى القديم وجعل شعره أداة لإصلاح قومه وكان من أنصار نظرية «الفن للمجتمع» التى كانت على النقيض من نظرية «الفن للفن»<sup>(\*)</sup> التى تهتم بجماليات الشعر وعناصر

(١) حالى: ترجمة حالى ص ٣٣٨ - ٣٤٠.

(٢) حالى: مسدس حالى ص ٤.

(\*) ظهرت «الفنية» (أو الفن للفن) كرد فعل للرومانتيكية وكان رائدها الشاعر الوصاف تيوفيل جوتيه صاحب الديوان المعافو باسم «مينات وزهريات» ويرى أنصار هذا المذهب أن الشعر فن جميل ولذلك يجب أن يكون غاية فى ذاته فلا يستخدم كوسيلة للتعبير عن المشاعر الخاصة. بل يعمل لخلق صور وأخيلة وإحساسات جميلة فى ذاتها وهذا هو ما يقصدون إليه من عبارة «الفن للفن».

أما نظرية الفن للجميع» فهى على النقيض من «نظرية الفن للفن» حيث يرى أنصار هذا المذهب أنه يجب توظيف الفن لخدمة المجتمع والبيئة والنهوض بالإنسان، كما أنهم لا ينكرون تماماً القيم الجمالية للفن (محمد مندور: فى الأدب والنقد ص ١٤٠ دار نهضة مصر - ١٩٧٨م).

المتعة والتشويق فيه واستخدامه كنوع من التسلية والتفككة دون النظر إلى الفائدة المرجوة منه . وقد وضع حالي ذلك فى مقدمة مسدسه حين قال : أهل الذوق فى بلدنا لا يفضلون هذا النوع الجاف والبسيط من الشعر لأن فيه ترجمة لبعض الأحداث والآيات والوقائع التاريخية ويصور حالة القوم الراهنة تصويراً صادقاً ليس فيه دقة الخيال ولا تنوع البيان ولا إعادة المبالغة والتكلف ، المهم أنه شعر لا تأنس به آذانهم وليس فيه شىء عجيب ، لكننى لم أنظم هذا الشعر (المسدس) من أجل التلذذ والاستحسان لكن من أجل أن يثير فى الأصدقاء وأهل الوطن نار الحمية والغيرة<sup>(١)</sup> . وهكذا اتضح ميدان نظم الشعر أمام حالى وظل متمسكاً برأيه هذا حتى نهاية حياته . وفى عام ١٨٧٤م انظم حالى إلى الندوات الشعرية الجديدة التى أقيمت فى لاهور تحت إشراف «نجم بنجاب» جمعية البنجاب وبإيعاز من كرنيل هالرايد مدير التعليم فى البنجاب وأشرف على تنظيمها محمد حسين آزاد وبدأت أول ندوة فى ٨ مايو ١٨٧٤ واشترك فيها حالى وقد استمرت هذه الندوات الشعرية تعقد مرة كل شهر لمدة أحد عشر شهراً واشترك حالى فى أربع ندوات منها ونظم أربع قصائد فى قالب «المنوى» وهى بالترتيب الأولى موسم المطر (بركهارت) أو (برسات) والثانية الأمل «أميد» والثالثة هى العدل «إنصاف» والرابعة فى حب الوطن «حب وطن» وتعتبر هذه الندوات نقطة تحول فى شعر حالى وبداية لاتجاه جديد فى نظم الشعر اشتهر به حالى وكان رائداً فى هذا المجال ومن أبرز رواد الحركة الشعرية الجديدة التى نشأت فى لاهور بتأثير من الأدب الإنجليزى وهى الفترة التى اطلع حالى فيها على الكتب الإنجليزىة المترجمة فى الشعر والأدب والنقد، وقد تميزت الندوات الشعرية التى عقدت فى لاهور عن الندوات القديمة باختيار موضوع معين ينظمون الشعر حوله ويظهر كل شاعر براعته فى نظم الشعر فى هذا الموضوع بدلاً من تحديد مصرع من بيت شعر يلتزم به الشعراء وينظمون على قافيته ووزنه .

وقد نظم حالى قصائد كثيرة باللغة الفارسية وبعض القصائد باللغة العربية . وقد زاعت شهرة شعر حالى فترجم مسدسه إلى عدة لغات عالمية ومحلية، كما قام أحد الإنجليز ويدعى G.E. Ward (\*) بترجمة بعض من قصائده ورباعياته إلى اللغة الإنجليزىة كما ذكر ذلك رام بابو سكسينه<sup>(٢)</sup> .

(١) حالى : مسدس حالى ص ٥ .

(\*) G. Eward, the Quartrains of Hali. P. 200 - 220 - Oxford, 1904.

(٢) رام بابو سكسينه : تاريخ ادب اردو . ص ٣٦٤ .

وفيما يلي سأقوم بدراسة إحصائية لأشعار حالي المختلفة والتي قام بنظمها في الفترة ما بين عامي ١٨٦٣ و ١٨١٤م وبعدها سأتناول أهم الفنون الشعرية التي نظم فيها حالي أشعاره .

\* \* \*

قام حالي في حياته بنشر مجموعتين فقط من أشعاره بالإضافة إلى المسدس « مسدس مد وجزر إسلام » الذي نشر عام ١٨٧٩م، وهاتان المجموعتان هما:

١ - مجموعة نظم حالي ونشرها سنة ١٨٩٠م وتضم هذه المجموعة ١٤ قصيدة .

٢ - ديوان حالي : ونشره سنة ١٨٩٣م مع مقدمة شعر وشاعري في مطبعة الأنصاري بدهلي وتضم هذه الطبعة ٣٠ غزلية قديمة وتمتاز هذه الطبعة عن الطبقات التي جاءت بعدها بأنها تفصل بين الغزليات القديمة وتميزها بعلامة « ق » عن الغزليات الجديدة ورتبت الغزليات القديمة والجديدة طبقاً للرديف، وهذا الفصل بين الغزليات والجديدة يجعلنا نفهم بسهولة التطور الفني والعقلي لحالي من خلال هذه الغزليات، وقد وقع بعض الباحثين في خطأ حصر الغزليات القديمة ففي حين يذكر الدكتور شجاعت سنديلوي<sup>(١)</sup> أن الغزليات القديمة عددها ١٧ غزلية يذكر سعيد مرتضى حسين<sup>(٢)</sup> أن عددها ٢٠ أو ٢١ غزلية .

ويحتوى ديوان حالي على : ٦٧ قطعة، و ١١٦ غزلية ( ٣٠ قديمة، ٨٦ جديدة )، . ١٠٧ رباعيات ( ٧ قديمة و ١٠٠ جديدة )، ٥ قطع في المدح والشكر، واثنين في النعت واثنين في المدح واثنين في تركيب بند وقصيدتين غير كاملتين، وفي نهاية الديوان أشعار متفرقة ومجموعة من القطع التاريخية .

وقبل أن ينشر حالي هاتين المجموعتين قام بنشر ثلاث قصائد شهيرة منفردة وهي « مناجات بيوه » أى دعاء أرملة عام (١٨٨٤م)، و« منثوى » حقوق أولاد » حقوق الأولاد عام (١٨٨٨م) « وشكوة هند » شكوى الهند عام (١٨٨٨م) وطبع حالي كذلك عدة قصائد منفصلة ومتفرقة وهي « تحفة الأخوان » و« فلسفة ترقى » و« جيب كى داد » وغيرها<sup>(٣)</sup> .

(١) شجاعت على سنديلوي : حالي بحيثيت شاعر، ط١، لكهنو ١٩٦٠م ص ٨٩ .

(٢) سيد مرتضى حسين: مقدمة منثويات حالي، ص ٣ .

(٣) افتخار صديقى : ص ٢٣ - ٢٧ .

٣ - وفكر حالي في أواخر حياته في جميع شتات أشعاره المتفرقة والمتناثرة، وبدأ بالفعل في ترتيب وتدوين «كليات نظم حالي» بالرغم من مرضه ومشاكله العائلية، وكان أو مجموعة رتبها هي مجموعة نظمه ونثره الفارسية والعربية تحت اسم «ضميمه اردو كليات نظم حالي» والتي نشرت في أغسطس ١٩١٤ أى بعد وفاته بخمس أشهر فقط<sup>(١)</sup>.

٤ - ظلت «قطعاً حالي»، و«رباعيات حالي» تنشر على انفراد بعد وفاة حالي.

٥ - وفي سنة ١٩٢٢ قام الشيخ إسماعيل پانى پتى بنشر مجموعة باسم «جواهرات حالي» وتضم هذه المجموعة بعض القصائد التي لم تنشر لحالي من قبل.

٦ - وفي سنة ١٩٢٤م أخذ الشيخ محمد إسماعيل پانى پتى على عاتقه مهمة جمع وترتيب كليات نظم حالي في جزئين الأول والثاني ولكنه لم يتمكن من إكمال المجلد الثالث والرابع، ولم توفق أى جمعية أو إدارة في نشر كليات نظم حالي على الرغم من أن حالي يعتبر من المؤسسين للأدب الأردى.

٧ - وفي سنة ١٩٣٥م قام الشيخ محمد إسماعيل پانى پتى بنشر مجموعة كاملة من رباعيات حالي، الفارسية والأردية.

٨ - قام الدكتور شجاعت على سنديلوى بترتيب ونشر مثنويات حالي عام ١٩٦٠ عن مكتبة «أنوار بكدظيو» وقام الشيخ مبارك على بترتيب مجموعة من مثنويات حالي أيضاً وطبعها في لاهور عام ١٩٦٦م وكتب سيد مرتضى حسين مقدمة مفصلة طبعت معها، وفي سنة ١٩٦٠م كان قد نشر فى دهلى عن المكتبة الحديثة «كليات حالي» وكتب مقدمتها الشيخ محمد إسماعيل پانى پتى وهى غير كاملة<sup>(٢)</sup>.

وقد جمعت جميع قصائد حالي ورتبت على الطريقة القديمة أى من حيث فنون الشعر وقد سار على هذه القواعد والأصول الشيخ محمد إسماعيل پانى پتى.

وفى سنة ١٩٦٨م نشرت الطبعة الأولى من «كليات نظم حالي» فى مجلدين وقام بترتيبها وجمعها الدكتور افتخار أحمد صديقى وقام بجمع أعمال حالي الشعرية فى هذين المجلدين ورتب القصائد طبقاً للموضوعات لكنه مع هذا اهتم بالعامل الزمنى فى

(١) محمد إسماعيل پانى پتى : مقدمة كتاب نظم حالي، ط. ص ٤.

(٢) افتخار صديقى : كليات نظم حالي، ج ١، ص ٢٤ - ٢٥، ٣٢، ٣٥.

ترتيبه بقدر الإمكان .

## شعر حالي الفارسي والعربي :

نظم حالي شعراً باللغة الفارسية والعربية إلى جانب أشعاره بالاردية ويقول حالي في ترجمته « يوجد لى مؤلفات نثرية وشعرية كثيرة باللغة الفارسية وقليل باللغة العربية» (١) وقام حالي بجمع هذه الأشعار باسم «ضميمه أرد وكلييات نظم حالي» وقد نشرت فى أغسطس عام ١٩١٤ م.

وقد بدأ حالي فى نظم الغزل الفارسي بشكل مستقل فى سنة ١٨٦٣م وله أشعار فارسية كثيرة تتكون من ١٩ غزلية و ٢٠ رباعية و ٤ قصائد و ٧ مرثى و ٦ قطعات و ١٥ قطعة تاريخية وقد نظم حالي معظم غزلياته أثناء إقامته فى جهانگیر آباد بصحبة مصطفى خان شيفته وتتميز لغة هذه الغزليات بالسلاسة والصفاء وتتوفر فيها جميع عناصر الغزل ويتفوق بها على غزليات عصره ويبدو فيها الإخلاص والبساطة بدلاً من المبالغة والتقليد ويتألق فى بعض غزليات حالي الخيال المخلق الرقيق وجمال الأسلوب الموجود فى غزليات غالب ونظيرى (٢) وتبدو براعة حالي ومقدرته أيضاً فى نظم المقطوعة الفارسية وقصة «بيت بحشى» (٣) والمراسلات الشعرية بين حالي وغالب خير شاهد على أسلوبه القوى وسمو عقله وذوقه، وقصائده الفارسية التى بدأها بقصيدة (٤) فى مدح نواب كلب على خان رئيس مصطفى آباد (رام پور) يبدو فيها الإخلاص والصدق بجانب العناصر الفنية للقصيدة وكان حالي قد نظم قصيدة فى مدحه قبلها بثلاث سنوات (٥) وهى نموذج للطراز الجديد فى القصيدة المدحية وكان حالي قد نظم هذه القصيدة باهتمام خاص وألقاها عام ١٨٧٧م فى البلاط القيصرى بمناسبة اجتماع رؤساء المدن فى دهلى . وقد قال حالي فى تعليقه على هذه القصيدة «لما تعرفت على نواب كلب على خان الذى كانت له المبادرة والسبق قبل الجميع فى مساندة السير سيد وكان لديه أمل كبير فى المشاركة فى اجتماع البلاط القيصرى لهذا فقد قررت أن أمدحه

(١) حالي : ترجمة حالي . ص ٣٤٣ .

(٢) افتخار صديقى : مقدمة كلييات نظم حالي ج ١ ، ص ٧١ .

(٣) ارجع إلى «بادگار حالي» صالحه عابد حسين، و«بادگار غالب» لحالى .

(٤) حالي : كلييات نظم حالي : ج ٢ من ص ٣٨١ حتى ٣٨٨ .

(٥) حالي : المرجع السابق : ج ١ ص ٢٦٥ .

بهذه القصيدة» (١).

ويبدأ حالي هذه القصيدة بوصف صفات هذا الحاكم اليقظ وقد مدح حالي نواب كلب على خان بأوصافه الحقيقية البعيدة عن المبالغة وذكر علمه ورعايته للفن، والقصيدة بجزالة ألفاظها وجمال أسلوبها تعد من روائع الشعر الفارسي القديم وبالإضافة إلى قوة المعنى وجدة الخيال يقوم حالي بترصيع قصيدته مثل قاتني (٢) ونظم حالي قصيدة أخرى في تهنئة نواب آسمان جاه بهادر بعيد الفطر وثالثة لتهنئته بعيد الأضحى المبارك وآخر قصيدة لحالي بالفارسية هي في مدح حبيب الله خان والى دولة خداداد في أفغانستان بمناسبة حضوره إلى مدرسة العلوم بعلي گرطه ونظمها حالي عام ١٩٥٧م (٣).

وعلاوة على هذه القصائد التي نظمها حالي في المدح والتهنئة فإن له سبع مرثي باللغة الفارسية خمسة منهم في قالب القطعة وهي:

١ - الأولى: في رثاء نواب محمد علي خان رشكي الذي كان رئيسا لجهانگیر آباد خلفاً للنواب مصطفى خان شيفته (٤).

٢ - الثانية: في تاريخ وفاة السيد محمود علي أخى السير سيد أحمد خان (٥).

٣ - الثالثة: في وفاة وزير الدولة سيد محمد حسن خان وزير ولاية پتياله (٦).

٤ - الرابعة: في وفاة مشير الدولة سيد محمد حسين خان (٧).

٥ - الخامسة: في وفاة مولوى چراغ على الذي كان من رفاق السير سيد ومن المؤيدين لحركته (٨).

ونظم حالي المرثية السادسة في قالب «ترجيع بند» وهي في رثاء نواب مختار الملك

---

(١) حالي: المرجع السابق: ص ٣٨١.

(٢) افتخار صديقي: مقدمة كليات نظم حالي. ج ١. ص ٧٣.

(٣) حالي: كليات نظم حالي. ج ٢ ص ٣٩٣.

(٤) حالي: المرجع السابق: ج ٢ ص ٤٠٤.

(٥) حالي: المرجع السابق: ج ٢ ص ٤٠٥.

(٦) حالي: المرجع السابق: ج ٢ ص ٤٠٦.

(٧) حالي: المرجع السابق: ج ٢ ص ٤٠٨.

(٨) حالي: المرجع السابق: ج ٢ ص ٤١٠.

سرسالار جنگ میرتراب علی خان ونظمها حالى سنة ۱۸۸۳م<sup>(۱)</sup>.

والمرثية السابعة والأخيرة كانت فى رثاء السير سيد أحمد خان وهى فى تركيب بند ونظمها حالى سنة ۱۸۹۸م<sup>(۲)</sup> وطبعت ونشرت فى دهلى فى مطبعة مجتبائى فى شهر مايو ۱۸۹۸م بعد موت السير سيد بفترة قصيرة ويقول حالى فى ترجمته: كان آخر شعر لى بالفارسية قصيدة فى قالب «تركيب بند» نظمها فى عام ۱۸۹۸م فى رثاء السير سيد أحمد خان. وآخر شعر لى بالاردية نظمته<sup>(۳)</sup> فى تابين الملكة فيكتوريا (ملكة بريطانيا) ونشر فى مجلة على گرطه گزت<sup>(۴)</sup> ونظم حالى أشعاراً باللغة العربية أيضاً فى أثناء إقامته عند مصطفى خان شيفته فى جهانگیر آباد وهى قليلة نسبياً فى مقابل أشعاره الفارسية، وكانت قصيدة حالى «البائية» فى مدح شاه عبد الغنى هى أولى قصائده باللغة العربية ونظمها فى عام ۱۸۶۷م وأرسلها إلى شاه عبد الغنى (المتوفى ۱۲۹۵هـ) فى المدينة المنورة وتتكون هذه القصيدة من ۴۸ بيتاً ومطلعها:

هوى الحور بلوى كل حبر ونادب      وفتنة قسيس وزلة راهب

وهزم لمنصور وفتح لخاذل      وعز لمغلوب وذل لغالب<sup>(۵)</sup>

وقد أظهر حالى مهارة فائقة فى هذه الأشعار العربية ونستطيع أن نقول بلا مبالغة إنه لو كان لحالى أشعار عربية بشكل مستقل فإنه يكون شاعراً مجيداً فى هذه اللغة، وهذه القصيدة يهب منها نسيم الصحراء العربية وبدأها حالى بطريقة جذابة ولكن الأشعار التى نظمها فيما بعد فى لاهور قليلة العدد بسبب مرضه وليس بها الترصيع الذى هو بمشابهة روح القصيدة ومع ذلك فإن أشعاره العربية تسير على نفس طريقة العرب وخصوصيات القصيدة العربية<sup>(۶)</sup>.

وكان قد أرسل هذه القصيدة إلى شاه عبد الغنى فى المدينة المنورة فأرسل لحالى خطاباً يشكره ويقول فيه:

(۱) حالى: المرجع السابق: ج ۲ ص ۳۹۵.

(۲) حالى: المرجع السابق: ج ۲ ص ۳۹۷.

(۳) حالى: كليات نظم حالى: ج ۱ ص ۳۴۹.

(۴) حالى: ترجمة حالى: ص ۳۴۳.

(۵) حالى: كليات نظم حالى: ج ۱ من ص ۴۳۰ - ۴۳۳.

(۶) غلام مصطفى خان: حالى كا ذهنى ارتقا: ص ۲۸، ۲۹.

« واستحسنها بعض أدباء المدينة المنورة لما فيها من البراعة والفصاحة »، وقد كتب  
حالى عدة قطع شعرية فى المناسبات العامة والحفلات وتشتمل أشعار حالى العربية على  
٦ قصائد وثلاث مقطوعات<sup>(١)</sup>.

\* وقد نظم حالى قصيدة باللغة العربية يمدح بها منشى محمد كرم الله خان بمناسبة  
زواجه فيقول:

بنفسى ما به جاء البشير	- وما افدى به شىء يسير
فبشرنى وقد ألقيت سمعى	- بسورٍ لا يكافئه سرور
فقمتم إذا وكيف يقوم مثلى	- نحيفاً ليس يبعثه النشور
شكياً لا يصاحبه أنيس	- غريباً لا يزار ولا يزور
نسيت ولم أكنسى همومى	- فما هذا النشاط وذا السرور
أرى الأرجاء قد ملئت بهاءً	- وفى القمرين فوق النور نور
فيا للربيع من ربيع يهيج	- به صحب وإخوان حضور
كان الناس حول العرس كانوا	- نجومًا بينها قمر منير <sup>(٣)</sup>

\* ونظم حالى قصيدة أخرى باللغة العربية يصف فيها حزنه على فراق اصدقائه فى لاهور  
بعد أن استقر فى دهلى فيقول:

هل من يبلغ عن محصور لاهور	- عن مبتلى فيه بعد الكور بالخور
إلى ديار بها سلمى وأهلها	- إن لم يكن فى زمان البين من خير
هل فيكم من يواسى حائداً أسفاً	- بما مضى من دوام القرب والزور
ولم يذل حدثان الدهر يزعجنى	- يوماً بنجد وبما كنت فى غور

(١) حالى: كليات نظم حالى. ج ٢ من ص ٤٣٠ إلى ٤٤٢.

(٢) حالى: كليات نظم حالى ج ٢. ص ٣٢٨ و ٣٢٩ و ٣٣٠.

(٣) حالى: كليات نظم حالى. ج ٢. ص ٤٣٠.

- لكننى راسخ فى حبكم قدمى فلن أحول عن طور إلى طور

- إنى أحب واهوى أن الأقبكم إن لم يكن نحوكم مسعاى أو سيرى

- أرجو من الله بعد العسر ميسرة أما على مهلة ما أو على فور<sup>(١)</sup>

- كما قام حالى بترجمة جزء من قصيدة باسم « واقعة هجرت » أى هجرت الرسول إلى الأردية شعراً وهى قصيدة الإمام على بن أبى طالب ومطلعها:

- وقيت بنفسى خير من وطىء الحصى ومن طاف بالبيت العتيق وبالبحجر<sup>(٢)</sup>

وترجم حالى هذه القصيدة عام ١٨٨٦م، وترجم أيضاً أبياتاً من قصائد إنجليزية إلى اللغة الأردية شعراً. ووضعها فى آخر ديوانه تحت عنوان أشعار متفرقة، وترجم عدة أبيات أخرى من الإنجليزية «ناقدرى» فى عام ١٩١٣م، وقام حالى فى عام ١٨٧٨م بترجمة الجزء الأول من قصيدة «زمزمه قيصرى»<sup>(٣)</sup> للشاعر الإنجليزي آستوك<sup>(\*)</sup> ونظم حالى هذه القصيدة فى قالب «تركيب بند» وهى من ثلاثة أجزاء وألقاها فى البلاط القيصرى بمناسبة مجيء الملكة فيكتوريا إلى الهند وقد قام حالى بترجمة الجزء الأول إلى الأردية واعتذر عن ترجمة الجزءين الثانى والثالث إلى الفارسية بسبب مرضه.

(١) المرجع السابق ص ٤٣١.

(٢) حالى: كليات نظم حالى. ج ٢. ص ٣٢٨ - ٣٣٠.

(٣) حالى: المرجع السابق: ج ٢، ص ٢٩٥.

(\*) الشاعر الإنجليزي آستوك (١٨٣٥ - ١٩٠٠) أحد الشعراء غير المشهورين وكان يعيش فى الهند وعمل موظفاً لدى الحكومة الإنجليزية فى الهند وله ديواناً يحتوى على قصائد إنجليزية وأردية، وقد نظم قصيدة «زمزمه قيصرى» عام ١٨٧٥م للترحيب بالملكة فيكتوريا بمناسبة زيارتها للهند وفلك بامر من نائب الحاكم العام للهند السير كرنل. (غلام مصطفى خان: حالى كاذهنى ارتقا ص ٨٩).

## موضوعات شعر حالي

يعتبر حالي من رواد الشعر الأردى الحديث الذين قاموا بإصلاحات عديدة فى الشعر الأردى فى الشكل والمضمون وترك ثروة شعرية كبيرة تنوعت فيها فنون الشعر المختلفة من غزل ومثنوى وقصيدة مرثية ورباعى ومقطوعة ومسدس وكان أول شاعر يعبر فى شعره عن هموم شعبه وقضايا وطنه فنظم فى الشعر الهادف وتلاحم مع قومه لذلك ركز حالى اهتماماته فى الشعر بالموضوعات الدينية والاجتماعية والتعليمية والأخلاقية ودافع عن المرأة ونظم شعراً للأطفال وفى المناسبات الوطنية اهتم بشعر الطبيعة والشعر القومى .

### ١ - الغزل :

الغزل فى الشعر الأردى مصطلح خاص يختلف عن الغزل فى الشعر الفارسى . « فالغزل فى الشعر الأردى نوع من النظم يشتمل على مجموعة من الأبيات المتحدة فى الوزن والرديف ويتفق شطرا البيت الأول منه فى نفس الرديف ثم يتفق هذا الرديف مع رديف الشطر الثانى من بقية الأبيات وتتغير القافية فى كل بيت عن البيت الآخر وتشتمل كل غزلية على موضوعات عديدة وكل بيت يحمل معنى منفرداً . ويذكر الشاعر تخلصه فى البيت الأخير»<sup>(١)</sup> « والغزل كما هو معروف لا يبين موضوعاً خاصاً بطريقة مسلسلة إلا نادراً بل يؤدى الأفكار المتفرقة فى أبيات منفصلة، ومع أن أصل الغزل كما يبدو من كلمة « غزل » كان خاصاً بموضوعات الحب فقط إلا أن هذا لم يستمر طويلاً، فهناك كثير من شعراء إيران وبعض شعراء الهند الذين قد مزجوا الغزل بموضوعات المواعظ والأخلاق والتصوف إلى جانب موضوعات الحب»<sup>(٢)</sup> . ويتفق شبلى النعمانى مع حالى فى توضيح مصطلح الغزل فيقول: « الغزل الفارسى لا يتناول أى أمر من أمور الحب والعشق بطريقة مسلسلة بل كل بيت منفصل عن الآخر ويحمل فكرة واحدة قائمة بذاتها ومختلفة عن الفكرة الأخرى التى فى البيت الذى يليه»<sup>(٣)</sup> .

وكان أول فن شعرى نظم فيه حالى هو فن الغزل الذى يعد الفن الشعرى الأول فى

(١) قادر بخش دهلوى: گلستان سخن، ج ١، ص ١٧٣ .

(٢) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ١٠٠ .

(٣) شبلى النعمانى: شعر العجم ج ٥ . ص ٧٤ - ٧٥ .

الشعر الأردی وتقام شاعریة اى شاعر أردی بمدى نبوغه فى هذا الفن ويرجع ذلك إلى صعوبة النظم فى هذا الفن الذى يتميز بتقاليد فنية صارمة يتوارثها الشعراء ويتمتع هذا الفن بشهرة فائقة لدى العوام فضلاً عن الخواص وقد نظم حالى شعر الغزل فى بداية حياته وحتى وفاته عام ۱۹۱۴م وإن كان إنتاجه فى هذا الفن أغزر فى مرحلة الشباب .

وتنقسم غزليات حالى إلى ثلاثة مراحل :

### المرحلة الأولى :

- وتضم هذه المرحلة غزليات حالى القديمة التى نظمها من سنة ۱۸۶۳م حتى سنة ۱۸۷۴م ونحن لا نستطيع أن نحدد هذه المرحلة ونهايتها بشكل قاطع ففى سنة ۱۸۶۳م بعد أن دخل حالى فى دائرة تأثيره بنواب مصطفى خان شيفته بدأ فى نظم شعر الغزل بطريقة مستقلة .

وهذه الغزلية نموذج لغزليات حالى القديمة :

- لقد زاد قلق القلب واضطرابه
- فمواساتك أصبحت لى بلاء
- ساضطر إلى كشف جراح قلبى
- ولو أخطأت سهمه (هدفه)
- فای أمنية هذه التى لها نهاية
- الوعد لا يصير وعداً إذ وفى
- لقد بدأت الانفاس تتوقف ببطء حتى فנית \* وتضاعف المرض وتزايد حتى صار دواءاً
- وأنا لا أستطيع أن آتى وقت وداعه
- فعناقه وبكاؤه أصبح آفة لى (۱)

دلا ساتمھارا بلا هوگیا  
اگر تیراس کا خطا هوگیا  
وہ وعدہ نہیں جو وفا هوگیا  
مرضی بر طہے برہتے دوا هوگیا  
وہ رورو کے ملنا بلا هوگیا  
ابھی کیاتھا اور کیا سے کیا هوگیا  
وہ غم رفتہ رفتہ غذا هوگیا  
دھے وہ خفا، گر خفا هوگیا  
کہیں سادہ دل مبنلا هوگیا

(۱) قلق اور دل می سوا هوگیا  
دکھانا پر طے گامجھے زخم دل  
وہ امید کیا جس کی ہوائتھا  
ہوارکنے رکنے دم آخر فنا  
نہیں بھولتا اس کی رخصت کا وقت  
سمان کل کارہ رہے اتا ہے باد  
سمجھتے تھے جس غم کو جانگزا  
نہ دے میری امید مجھ کو جواب  
ٹپکنامے اشعار حالى سے حال

- لقد ظلت تتوارد ذكرى مشهد الامس كيف كانت الامور وكيف تغيرت في حين؟<sup>١</sup>
- فالحرز والغم الذي كنا نعتبر مضمناً للروح أصبح الآن غداً بالتدريج
- أيها الأمل لا تخذلني، ليبقى (الحبيب) غاضباً لو هو غاضب مني
- إن حال حالي يظهر في أشعاره، ولربما ابتلى (بالحب) ساذج القلب<sup>(١)</sup>

### المرحلة الثانية:

في سنة ١٨٧٢م جاء حالي إلى لاهور وهناك عمل في مخزن كتب إقليم البنجاب وكان يقوم بإصلاح الترجمات الأردية المترجمة عن اللغة الإنجليزية، وسنحت له الفرصة آنذاك للاستفادة من الأدب الإنجليزي والاطلاع على علوم الغرب عن طريق هذه التراجم، وتعرف أيضاً على الحركة الإصلاحية لجمعية البنجاب «انجمن پنجاب» كما أثرت عليه في هذه المرحلة أفكار السير سيد عن طريق المقالات التي كان يكتبها في مجلتي «تهذيب الأخلاق» و«مجلة معهد علي گرطه» يقول حالي: «في أثناء إقامتي بلاهور بدأت تقل عندي بالتدريج قيمة الآداب الشرقية وتأثيرها وبصفة خاصة الأدب الفارسي وبدأت تنشأ بيني وبين الأدب الإنجليزي علاقة من نوع ما»<sup>(٢)</sup> وظهرت لدى حالي في هذه الفترة الرغبة الشديدة في إصلاح الأدب الإردى ووضعه على طريق الإصلاح الصحيح، وفي سنة ١٨٧٤م نشر عبد الغفار نساخ تذكرة «سخن شعراء» وقام باختيار أربع عشر غزلية من خمس وعشرين غزلية كان حالي قد أرسلها له بناء على طلبه ولرغبته في نشرها في تذكرته «سخن شعراء» وتعد جميع هذه الغزليات من الغزليات القديمة ولهذا السبب فغالبا ما يتحدد عام ١٨٧٤م آخر حد فاصل لغزلياته القديمة وبداية ظهور النزعة الجديدة في غزلياته والذي يعد تأثير البيعة والتسلسل المنطقي من أهم سماتها ونستطيع على كل حال أن نقول بكل ثقة أن أسلوب حالي وطريقة نظمه للغزل قد تغيرت أثناء إقامته بلاهور أي حتى أواخر عام ١٨٧٤م وقد استمرت هذه المرحلة منذ ذلك التاريخ حتى عام ١٨٩٣م وهي السنة التي طبع فيها ديوانه «ديوان حالي».

وهاتان الغزليتان يعتبران من نماذج غزلياته في هذه المرحلة:

(١) حالي: كليات نظم حالي: ٦٣/١.

(٢) حالي: ترجمة حالي: ص ٣٣٩.

- (۱) - ألم القلب لا شأن له بالدواء  
 - الحديث عن ماء الحياة شيء جميل  
 - الملوكية هي ترويض النفس  
 - إن الذي يفعله الواعظ سيتحمل نتيجته  
 - والذين يعبدون الحور والغلمان  
 - المطلوب من الإنسان المروءة  
 - وإذا كان الرند ملوث الطرف  
 - وإذا كان صوفى المدينة صافياً  
 - يا حالى، إن الذين يحيون رائحة الخمر حباً جماً، لا يهتمون بثمالة الخمر أو بصفاها (۱)  
 (۲) - أيها الواعظ أنك تصطدم مع كل واحد \* ولهذا فانت تُعرف بناصح القوم

(\*) يقصد الشاعر بالملوكية الحكم، وقد كان في عصره بظنون أنه إذا وقع ظل طائر الهماء على إنسان فإنه يصير ملكاً.

۱ - درد دل کودوا سے کیا مطلب  
 چشمہء زندگی ہے ذکر جمیل  
 بادشاہی ہے نفس کی تسخیر  
 جو کرین گے بھرین گے خود واعظ  
 جن معبود حور و غلمان ہیں  
 کام ہے مردمی سے انسان کی  
 ہے آگے رنددا من آلودہ  
 صوفی شہر باصفا ہے اگر  
 نکھت سے پہ غش ہیں جو حالی

۲ - یہ مین واعظ، سب پہ منہ آتے ہیں آپ  
 بس بہت طعن و ملامت کر چکے

(۱) حالی: کلیات نظم حالی: ۱۰۳/۱ - ۱۰۴.

- فلتكف عن المزيد من اللوم والتجريح  
 - يوجد فى الأبريق نفس اللذة التى  
 - فىا أيها الواعظ أن الخجل حرام على  
 - لماذا تكفّر كل واحد؟  
 - إنك أيها الواعظ تعمّر النار  
 - يا حالى بسبب مداعبتك للواعظ  
 ولا تدع الرنود يتحدثون عنك  
 تشعر بها حين الصعود على المنبر  
 الذين يخجلون من ذنوبهم بأنفسهم  
 هلا أمعنت النظر فى ذلك الأمر قليلاً  
 وتترك الجنة خاويه من الناس  
 جعلتهم يرمون فراشك خارج الجنة<sup>(١)</sup>

### المرحلة الثالثة:

وهى آخر مرحلة فى نظم حالى لشعر الغزل ونظم فيها سبع (٧) غزليات فقط وبدأت  
 من سنة ١٨٩٣م حتى سنة وفاته ١٩١٤م وبذلك يصل عدد الغزليات القديمة إلى (٣٠)  
 غزلية والغزليات الجديدة (٩٣) غزلية فيكون مجموع غزليات حالى القديمة والجديدة  
 (١٢٣) غزلية، وقد أحصى الدكتور شجاعت على سندیلوی غزليات حالى بـ (١١٥)  
 غزلية، (٩٩) جديدة و(١٧) قديمة<sup>(١)</sup>.

وفيما يتعلق بغزليات حالى القديمة فى هذه المرحلة يوجد أمامنا شعر حالى العربى  
 والفارسى والذى بقراءته يتضح أن هناك علاقة وثيقة بين حالى والشعر العربى على  
 عكس الميول والنزعات التى كانت تدور فى عصره وكان طبعه يميل إلى البساطة والحقيقة  
 والبعد عن المبالغة والكذب، كما أن الشعر الفارسى شاهد على المراحل العديدة التى مر  
 بها فن الغزل عند حالى وكان حالى عالماً بمعالم مراحل تطوره وطبعه أكثر ميلاً لسعدى  
 فى الأدب الفارسى ومير فى الأدب الأردى كما أنه استفاد كثيراً من أستاذه غالب الذى

= ہے صراحی مین وہی لذتکی جو  
 واعظو ہے ان کو شرم مانا گناہ  
 کرتے ہیں اکا اک کی تکفیر آپ کیوں؟  
 کرتے ہیں آباد دوزخ کو حضور  
 چھیڑ کر واعظ کو حالى خلد سے  
 چرہ کے منبر پر مزیاتے ہیں آپ  
 جو گنہ سے ایسے شرماتے ہیں آپ  
 اس پہ بھی کچھ غور فرماتے ہیں آپ  
 خلد کو ویران کرواتے ہیں آپ  
 بسترا کیوں اپنا پھنکوا تے ہیں آپ (١)

(١) شجاعت على سندیلوی: حالى بحیثیت شاعر ص ٨٩.

(١) حالى: کلیات نظم حالى: ١/١٠٤-١٠٥.

يعتبر استاذاً لهذا الفن وتعلمذ حالى عليه وكان صاحب ذوق خاص فى شعر الغزل ويعترف حالى بذلك فى بيت شعر (\*) له فيقول:

حالى سخن مين شيفته سه مستفيد غالب كا معتقد، مقلد ميركا (١)

فتعلم حالى من غالب جمال المعنى وقوة الاسلوب وفصاحته وأخذ عن شيفته الميل الفطرى للصدق وتأثر بأسلوب مؤمن وتنوع أشعاره عن طريق شيفته وجميع صور التأثر هذه نستطيع أن نراها ونلمسها بوضوح فى غزلياته القديمة، لكن صلة التوافق بين حالى ومير كانت أكثر عمقاً لأن الإغراق فى البساطة والإخلاص فى الفن والصنعة عند مير كان عوناً ونبراساً لحالى فى بداية نظمه للغزليات القديمة فتناسب خواطر القلب بدون تكلف أو تصنع وتتميز بالبساطة والوضوح فى الصياغة إلى جانب القدرة على إظهار الألم والحرقلة التى تذكرنا بأنين مير وأحزانه ولكن حالى لم يكن مثل مير الذى يتلذذ بمفرده بالآمه الداخلية وتعنصره الأحزان ولا كغالب الحائر الهائم فى صحراء الخيال. ولذلك يبدو حالى من خلال غزلياته أكثر تفاعلاً مع الشعور الاجتماعى العام وتنبع حرقته وآلامه من البيئة المحيطة به فيتنامى الشعور والإحساس والإخلاص لديه. وقد قدم حالى احتجاجاً شديداً فى مقدمته «مقدمة شعر وشاعرى» ضد العناصر التقليدية والمتوارثة فى الشعر الأردى لذلك نراه يهجر موضوعات الغزل التقليدية القديمة مثل موضوعات الفلسفة والتصوف والخمريات والعشق مع أن هذه العناصر موجودة بشكل أو بآخر عند اساتذة ذلك العهد مثل غالب وشيفته ومؤمن الذين تأثر حالى بهم فى غزلياته ولكن بعد أن صقل طبعه وصفت قريحته اعترف بعدم وجود أى تناقض بين محاولة الاعتماد على عناصر الغزل القديمة مثل البلبل والوردة فى بعض غزلياته القديمة وبين المضمون الجيد لهذه العناصر. وتأكيداً لذلك استخدم حالى كلمات الهجر والوصال والخمر والكأس والكمبة والدير والمعبد والحديقة والقفص والوردة والبلبل والخريف والربيع وغيرها من علامات الغزل التقليدية. ولكن فى المرحلة التالية قام حالى بتأسيس عناصر جديدة للغزل من البداية للنهاية كما يقول:

(\*) لقد استفاد حالى كثيراً فى شعره بشيفته .: وهو تلميذ لغالب ومقلد لمير.

(١) كليات نظم حالى: ج ١، ص ٤٠. وبابورام سكسينه: تاريخ أدب ارد و ص ٣٥٧ وكليات نظم حالى:

ج ٢، ص ٣٣٤.

ابنى روداد تهى جوعشق كاكر تے تهے بيان جو غزل لكهتے هوتى تهى سراسر حالى<sup>(١)</sup>

– كانت حكايتى عندما كنت أتحدث عن العشق، فالغزل الذى أنظمه كله كان حكاية حالى .

فعندما خرج حالى من نطاق فرديته الضيقة إلى هموم المجتمع أصبحت حالة العصر هى تفكيره وقصة الوجود هى قصته ومن هذا المنطلق يقول حالى كل ما يحس به فى شعره بشكل كامل دون التقييد بموضوع معين أو بالقافية فى غزلياته الجديدة .

ثقافة الشاعر هى الباعث الأول فى توسيع الدائرة اللامحدودة لموضوعات الشعر ففى البداية ( المرحلة الأولى ) كانت الدائرة الحقيقية له محدودة بدخائل العشق وحالته النفسية أما الآن وقد أحاط بمشاهدة الحياة العديدة وتجاربها المتكررة ظهر التنوع والرحابة أيضاً فى كيفية العشق ومفاهيمه المختلفة، لذلك نرى حالى يعبر عن الحب والعشق بأفكار جديدة وشعور متدفق فى غزلياته الجديدة وبأسلوب مختلف عن الغزليات القديمة، فاهتم حالى فى غزلياته الجديدة بالأوضاع السياسية والاجتماعية والأخلاقية والأفكار الإصلاحية، وبكى على ضعف المسلمين واعتزته رغبة جامحة فى الإصلاح، فجعل من جميع الموضوعات مجالاً خصباً للغزل، وهكذا احتوى الغزل الحياة والكائنات على رحابتها بين دفتيه ومحا الحدود الداخلية والخارجية للتجارب والمشاهد المتعددة . وعلى الرغم من أن حالى قد اختار صورة شعر النصيحة فى بعض الأماكن فى الغزليات الجديدة – عندما تقوى عنده العاطفة القومية – لكن فيما عدا بعض الغزليات المسلسلة فإننا نجد فى كل شعر حالى المعاناة والحرقه، وينفصل أسلوبه وصياغته عن طريقة التخاطب بالنصيحة والموعظة المباشرة<sup>(٢)</sup> .

وكان حالى يعرف جيداً المثل والطبيعة الخاصة للغزل لهذا فقد خطأ بخطى حثيثة نحو الإصلاح وجعل الغزل صدى لقضايا العصر ومقتضياته الحديثة وأقر الخصائص الفنية الأساسية لطبيعته وأكد على هذا الموضوع بقوة فى « مقدمة شعر وشاعرى » وترك حالى أسلوب الغزل القديم الذى أنست به الأذان وراق لها كما كان فى السابق . وأضاف إليه بالتدرج اللغة وأساليب الصياغة الجديدة، وظل حالى عشرين سنة – قبل أن ينشر مقدمته يعمل على تحقيق هذه القواعد فى غزلياته الجديدة، وهناك خطأ شائع فيما

(١) حالى : كليات نظم حالى . ج ١ . ص ٤٢ .

(٢) افتخار صدبقي : كليات نظم حالى، ج ١، ص ٤٢ - ٤٤ .

يتعلق بفهم محاولات حالي الإصلاحية للغزل الأردى وهى أنه خالف الأساليب المعروفة للغزل، وكان ضد رموز الغزل وعلاماته الخاصة به مع أن حالي كان يعترض على هذه العلامات والرموز التقليدية فقط مثل «دشنه وخنجر» و«ناز وغمزه» ولم يتخل عن باقى الرموز الغزلية.

وكان الغزل قبل حالي يهتم بموضوعات الحب والعشق والوجد وما ينتج من مشاعر الألم والحرقه والحمران بسبب هجر الحبيب، كذلك كان الغزل يركز على تصوير مفاتن المرأة وإبراز جسدها، أما الغزل عند حالي فهو رحب رحابة الحياة الحديثة واكتسب الغزل معانى سياسية وقومية وصار كل موضوع فى الحياة صالحاً للغزل ولم يقتصر على موضوعات العشق فقط بل تخطاها إلى مجالات الحياة العصرية واستخدم حالي بمهارة جميع العلامات الغزلية القديمة وبث فيها الروح الجديدة وقدم فى غزلياته عشرات الأمثلة التى استعمل فيها الربيع والخريف والبرق وعش الطائر والخمر والكأس والسفينة والطوفان وغيرها من علامات الغزل ولكن بمعانى جديدة وأخيلة طريفة.

ونظم حالي (١٩) غزلية جديدة غير مردفة (بلا رديف) واقتصر على القافية فقط وبذلك أزال حالي عقبة الالتزام بالرديف من طريق تطور الغزل والتى كان شعراء مدرسة لكتاؤ ودهلى على السواء يعتبرونها عيباً فى الغزل كما أقام حالي رابطة قوية بين اللفظ والمعنى بعد أن طهر الغزل من مساوئ الصنعة والمحاورات الشعرية والأبنية الشعرية الصعبة، وأحدث الترابط والوحدة الداخلية فى أبيات الغزل<sup>(١)</sup>.

ونظم حالي أيضاً الغزل المسلسل ولكنه ابتعد عن النعت والحمد فى مطلع الغزلية ولم يزد عدد الغزليات المسلسلة عن اثنى عشرة غزلية ومع أن التوافق المعنوى بين أبيات هذه الغزليات متوفر إلا أنها لم تفقد الوحدة فى أبياتها فى نفس الوقت وكانت هذه التجربة الخطيرة التى أقدم حالي عليها تأكيداً على شعوره بالفن والاعتدال والتوازن فى سلسلة إصلاحاته للغزل ونقده والتى لم تستطع الحركات الأدبية المنظمة فى القرن العشرين تقديم نموذج مثلها، فعندما نقرأ غزليات سليم پانى پتى وجوش مليح آبادى وما فيها من توافق ميكانيكى يفتقد إلى روح الغزل فإننا نشعر بأن ذوقنا الشعرى وفكرنا النقدى فى النصف الثانى من القرن الماضى لم يتعد كثيراً مستوى نقد حالي<sup>(٢)</sup>.

(١) افتخار صديقى: المرجع السابق ص ٤٥.

(٢) افتخار صديقى: كليات نظم حالي: ج ١، ص ٤٦.

وعلى الرغم من أن حالى كان من الشعراء البارزين فى نظم موضوعات الغزل إلا أنه هجرها فى أواخر حياته وبدأ يتجه إلى الاهتمام بالموضوعات الاجتماعية والقومية والشعر الهادف الذى يفيد المجتمع الهندى فى ذلك الوقت لذلك يعلن حالى بهذا البيت تمرده على شعر الغزل:

اب سنو حالى كے نوح عمر بہر      ہوچکا ہنگامہء مدح و غزل<sup>(۱)</sup>  
وقوله: ہوچکے حالى غزل خوانی کے دن      واگنی بے وقت کی اب گائین کیا<sup>(۲)</sup>  
ويعلل حالى أسباب تركه النظم فى موضوعات الغزل فى مقدمة ديوانه فيقول:

تعتبر علاقة الشعر بالعشق والحب علاقة ضرورية ولازمه فقد نشأ الشعر فى العالم نتيجة الحماسة والعاطفة اللتين تنشأ فى قلب الإنسان بسبب الحب فمادة الشعر قابلة للاشتعال وتحتاج لآى قيس من نار لإشعالها، ولقد ظلت هذه الفكرة التى لا تفضل أى شعر سوى شعر الغزل سائدة لفترة من الزمن، ولم يتبادر إلى ذهنى أى فكرة لاختيار طريق آخر مضاد. ولكن عندما تقدم بى العمر وبدأت حماسة الشباب فى التضاؤل تدريجياً وتبدلت أمانى الغزل والتشبيب بالانفعال والثورة وبدأت أخجل من الشعر الذى كنت أفخر به من قبل، وانقضى عصر شعر الغزل<sup>(۳)</sup>. ويقول فى بيت شعر له:

اب کہ الفت ہے نہ جاہت نہ جوانی نہ امنگ      سرھے سودا تہی عشق سے دل ہے خالی<sup>(۴)</sup>  
ويتجلى ذوق حالى الشعرى وشعوره الفنى فى الغزل على أكمل وجه عنه فى أى من فنون الشعر الأردى وإذا لم يكن قد نظم غير الغزل فقط فإنه مع ذلك ينال منزلة عظيمة فى تاريخ الشعر الأردى وعلى حد قول الدكتور إعجاز حسين: «يوجد فى غزليات حالى

(۱) الترجمة: فلنسمع الآن نواح حالى طول العمر، فقد انقضى عهد المدح والغزل (كليات نظم حالى: ج ۱: ۱۳۶).

(۲) الترجمة: لقد انتهت أيام إنشاد الغزل يا حالى، فكيف تغنى أنشوده فى غير وقتها (كليات نظم حالى: ج ۱: ص ۱۰۱).

(۳) حالى: ديوان حالى: المقدمة ص ۱، ۲.

(۴) الترجمة: الآن ليس هناك رغبة ولا شباب ولا حب، فالرأس فارغ من هذا الجنون والقلب خالٍ من العشق (كليات نظم حالى ج ۱ ص ۱۷۴). وقد أخذ حالى فكرة هذا البيت من كثير عزة حين سأله الناس ذات مرة: لماذا لا تقول الشعر؟ قال: لقد ولى الشباب الذى كانت تتدفق منه الامانى، وماتت عزة التى كان القلب يشتمل بها حباً ومات ابن أبى ليلى فما أرغب. يريد عبد العزيز بن مروان «ذهب الشباب فما أعجب، وماتت عزة فما أطرب، ومات ابن أبى ليلى فما أرغب» (العقد الفريد: ج ۶، ص ۱۵۲).

المیر و أسلوب بیان غالب و بساطتہ و واقعیتہ جنباً إلى جنب،<sup>(۱)</sup> علی أن شهرة شعر حالی و انتشاره مرتبط أكثر بشعره القومي وبالطريقة الجديدة في النظم. وفيما يلي نماذج من غزليات حالی الجديدة:

علی أن شهرة شعر حالی و انتشاره مرتبط أكثر بشعره القومي وبالطريقة الجديدة في النظم. وفيما يلي نماذج من غزليات حالی الجديدة:

۱ - لتسمعوا وصف العندليب للروضة في القفص

ولتسالوا المسافر الغريب عن قدر الوطن

- ماذا قالت ریح الصبا للعندليب في الحديقة؟

فإن ذلك المسكين لم يتوقف لحظة عن البكاء

- لقد مضى الحب والعداوة كلاهما مع الشباب

ولم يعد الآن الكراهية من الرقيب ولا المحبة من الحبيب

پوچھو وطن کی قدر مسافر غریب سے  
کیا کہہ گئی چمن میں صبا عندلیب سے  
نفرت رقیب سے نہ اب الفت حبیب سے  
آواز دے رہا ہے یہ کوئی قریب سے  
دنیا کے بہن میں شادی و غم کچھ عجیب سے  
پاند ٹٹے سے لون صلاح نہ پوچھوں طبیب سے  
ہے کوئی خاندان شریف و نجیب سے  
میں آج کل پیر بھی کچھ بد نصیب سے  
کہہ دو یہ جا کے برسر منبر خطیب سے  
پہنجا ہے نسخہ آب کو یہ کس طبیب سے  
میدان آج کل ہے یہ خالی نصیب سے  
ذکر حبیب کم نہیں وصل حبیب سے<sup>(۲)</sup>

۱ - وصف چمن قفس میں سنو عندلیب سے  
نالوں سے ایکدم نہیں مسکین کو قرار  
لاگ اور لگا ساتھ گئے سب شباب کے  
اب دل سے دور رکھو خیال نشاط عمر  
شادی ہے اک کی وہی جود و سرے کاغم  
دون برٹھتے درد دل مروں اس میں یاجیون  
کہتا ہوں، دیکھتا ہوں جسے خوار و بے وقار  
طالب میں صدق ہے نہ عقیدت مرید میں  
پرٹھے وہ خطبہ جس میں کہ صدق و صفاتہ ہو  
فاتحے میں تم کود یکھ کے جاتی ہے بھوک بھاگ  
اب جس کے جی میں آئی بھرے شاعری کادام  
نعم البسمل ہے داغ کا، حالی، کلام داغ

(۱) إعجاز حسین: نئے ادبی رجحانات، ط ۳، ۱۹۴۶م، ص ۳۳.

(۲) حالی: کلیات نظم حالی: ۱/۱۶۸ - ۱۶۹.

- يناديهم شخصاً ما عن كئيب
- أن أبعادوا عن القلب الآن خيال متعة الحياة
- فسماعة أحدكم هي نفسها حزن للآخر
- فالحزن والسعادة في هذه الدنيا شيخان عجيبان
- أترك ألم القلب ليزداد سواء أموت به أو أحييا
- ولا أسأل البرهمي ولا استشير الطبيب
- وأقول حينما أرى رجلاً في ذلٍ ولا وقار له
- إنه ينتمي إلى أسرة ما شريفة نجيبة
- فالصدق ليس في الطالب ولا العقيدة في المريد
- وشيوخ الطريقة هم أيضاً سيئو الحظ هذه الأيام
- قل للخطيب القائم على رأس المنبر
- أن ألق الخطبة التي لا يكون بها صدق ولا صفاء
- ففي حالة الفاقة حينما أراك يفر الجوع، من أين؟
- ومن أي طبيب حصلت على هذه الوصفة؟
- والآن كل الذي يخطر على باله يدعى مرض الشعر
- ومن حسن حظهم أن هذا الميدان في هذه الأيام خالٍ (من الشعراء)
- يا حالي، إن شعر داغ هو نعم البدل لداغ
- فذكر الحبيب لا يقل متعة عن وصل الحبيب
- ٢ - لا تكثروا الزيارات (المودة) فيما بينكم
- لا سمح الله فرمما يسبب هذه الامر كراهية أكثر

مبا داکه هو جائے نفرت زیاده  
نه ڈالو تکلف کئی عادات زیاده  
حوجا هو کربن لو گ عزت زیاده =

٢ - برٹھاؤنه آہس مین ملت زیاده  
تکلف علامت ہے بیگانگی کئی  
کرود وستو پہلے آپ اپنی عزت

- التكلف دليل على الفـرية

فلا تعودوا أنفسكم على التكلف أكثر

- لا تجرحوا نسب أحد منكم

أليس في هذا لؤم أكثر

- وعليكم أن تكسبوا الشرف بالعلم

وبالمرؤة يزداد هذا الشرف أكثر

- ولا تجلسوا في الدنيا لحظة واحدة بدون عمل

إذا أردتم أن يكون هناك رخاء أكثر

- فالعالم لم يمكن تسخيره بعدو به اللسان

وهذا لا يحتاج إلى مال أكثر

نہیں اس سے کوئی رذالت زیادہ  
نجات سے ہے یہ شرافت زیادہ  
اگر جاعنے ہو فراغت زیادہ  
نہیں لگتی کچھ اس میں دولت زیادہ  
مصیبت سے ہے یہ مصیبت زیادہ  
مباداکہ ثابت ہو خست زیادہ  
برہاؤنہ حد سے سخاوت زیادہ  
جناؤنہ اپنی محبت زیادہ  
نہ رکھوا میرون سے ملت زیادہ  
جو دولت سے کرتے ہیں نفرت زیادہ  
خداتے تجھے خواجہ ثروت زیادہ  
یہ الفت زیادہ نہ وحشت زیادہ  
مکراس میں ہرط نی ہے محنت زیادہ  
یہ دیکھا تو تھی یہ بھی قیمت زیادہ  
نہیں بس اب کے عقل مہلت زیادہ  
الہین نہ بس آب دہشت زیادہ

= نکالونہ رخنے نسب میں کم سے کم  
کرو علم سے اکتساب شرافت  
فراغت سے دنیا میں دم بھرنے بیٹھو  
جہان رام ہو تاہے میٹھی زبان سے  
مصیبت کا ایک اک سے احوال کہنا  
کرو ذکر کم اپنی دادو دہش کا  
پہراورون کی تکتے پھرو گے سخاوت  
کہیں دوست تم سے نہ ہو جائیں بد ظن  
جو جا ہو فقیری میں عزت سے رہنا  
وہ افلاس اپنا چھپانے نہیں گویا  
نہیں چھپنے عیب اتنی ثروت سے تیرے  
ہے الفت بھی وحشت بھی دنیا سے لازم  
فرشتے سے بہتر ہے انسان بننا  
بکے مفت بیان ہم زمانے کی ہاتھوں  
ہوئی عمر دنیا کے دھندوں میں آخر  
غزل میں وہ رنگت نہیں تیری حالی

- والحديث عن المآسى أمام جميع الناس
- ليس بمأساة بل هو من المآسى أكثر
- أقلوا من ذكر كرمكم وجودكم
- لا سمح الله أن يثبت منه بخلكم أكثر
- لو زاد وجودكم عن الحد
- فستنظرون إلى جود الآخرين أكثر
- حتى لا يساء الظن بكم يا أصدقاء
- عليكم أن تجودوا بحبكم أكثر
- الذين يرغبون فى إخفاء فقرهم
- لديهم النفور من المال أكثر
- إذا أردتم أن تعيشوا بفقركم بشرف
- يجب ألا يكون بينكم وبين الأغنياء مودة أكثر
- عيوبك لا يمكن إخفاؤها وراء الثروة
- فليعطك الله أيها السيد ثروة أكثر
- إن الألفة والكراهية كليهما ضروريات فى الدنيا
- لكن لا يجب أن يكو أحدهما من الثانى أكثر
- فكون الإنسان إنساناً هذا أفضل من كونه ملكاً
- فهذا يحتاج إلى جهد ومشقة أكثر
- لقد وقعنا فى براثن الزمان بدون ثمن
- وبعد أن أمعنا النظر وجدنا أن الثمن أكثر
- لقد أنتهى العمر فى مشاغل الدنيا
- فيا أيها العقل لم يبق لنا فرصة أكثر

- فیا حالی - لا یوجد لون ولا طعم فی غزلک

فلا تظهر مهارتك فی أداء الألمان<sup>(۱)</sup> والغناء أكثر

۳ - إذا كان الحدیث جدیداً بالقول فلنتحدث

ولكن كيف يمكن إظهار ما يعاني منه القلب

- إذا كان هناك طمع الدنيا فلنضيع القلب والدين

لو خسرتنا هنا كثير فسوف نجد هناك كثيراً بعدما نصل

- ما هذا الأمر فالقلب فی الدير والمقام فی الكعبة

فـيجب أن نلتزم بمكان تعلق قلبنا

- ولو هناك ضرر فی الحب أيها الناصحون

فارحلوا عني فأنا مستاء من الحياة

- فلا تقض على قيمتك الباقية

نحن نؤمن بكلامك فلا داعي للحلف (القسم)

- لقد شبعنا من هذه الدنيا بعد ما طلبنا حقنا

فتعال نكتب لك ورقة إخلاء الطرف عنها

(۱) حالی : کلیات نظم حالی : ۱/ ۱۴۸ - ۱۴۹ - ۱۵۰ .

جودل پہ بن رہا وہ کیوں کرد کہائے  
بان کہوئیے بہت ساتو کچھ جا کے پائے  
ہورہے بس وہیں کے جہان دل لگائے  
ہم جان ہی سے بیٹھے ہیں بیزار، جائے  
بس آگیا یقین ہیں قسمیں نہ کہائے  
فارغ خطی ہم اپنی ابھی لکھ دین، لائے  
زمزم میں غسل کیجے کہ گنگا نہائے  
حالی بتائیں آب کو گر کچھ<sup>(\*)</sup> کہلاتے

۳ - کہنے کی بات ہوتو اسے کہہ سنائے  
دنیا کی ہو ہوس تودل و دین گنوائے  
یہ کیا کہ دل ہے دیر میں اور کعبے میں مقام  
گر جان کا ضرر ہے محبت میں ناصحو  
اور اعتبار کہوتے ہوا پتا رہا سہا  
بہر پائے بس زمانے سے جو مانگتے تھے حق  
مشکل ہے پاک ہونا اگر دل نہیں ہی پاک  
ہوتی ہجوم غم میں ہے کیوں زہر کی تلاش

(\*) حالی : کلیات نظم حالی : ۱/ ۱۶۸ .

– إن لم يكن القلب طاهراً فمن الصعب الطهارة

سواء تفتسل بماء زمزم أو تستحم فى نهر الجانح

– لماذا يبحسون عن السم فى حالة هجوم الألم

فأخبرنا يا حالى – هل نقدم لك قليلاً من السم

## ٢ – المثنوى :

يقوم فن المثنوى – من الناحية الفنية – على أبيات مستقلة ومصرعة يشتمل كل بيت منها على مصراعين متفقين فى القافية والروى، مستقلين فى ذلك عن غيرهما، ويسمى شعراء العجم هذا الضرب بالمثنوى ويعرف فى العربية بالمزدوج<sup>(١)</sup>.

ويشترط فى المثنوية أن تكون على وزن واحد مهما كثر عدد أبياتهما، وقد اختلف النقاد فى أصل هذا الفن فيقول براون « هذا الضرب فارسى النشأه لم تعرفه الأشعار العربية القديمة وأن كان بعض الشعراء الذين كانوا من أهل فارس قد استخدموه فى نظم الأشعار المتأخرة التى عرفت باسم المزدوج<sup>(٢)</sup> والواقع أن العرب عرفوا المزدوج مع إبان بن عبد الحميد اللاحقى (م ٢٠٠ هـ) ونظموا فيه القصص مثل كتاب « كليله ودمنه » و« الصادح والباغم » والتاريخ : كأرجوزة ابن عبد ربه فى غزوات عبد الرحمن الناصر وكتب العلوم كالفية بن مالك فى النحو<sup>(٣)</sup> ولكنهم اهملوه بعد ذلك فاهتم به الإيرانيين ونظموا فيه أشعار لا تحصى وأشهرها شاهنامه الفردوسى والمثنوى المعنوى لجلال الدين الرومى وحديقه الحقيقة لسنائى ومنطق الطير لفريد الدين العطار .

وقد انتقل هذا الفن « المثنوى » إلى الشعر الأردى وظلت دائرته محدودة فقط بقصص الحب والعشق مثل « طلسم الفت » للشاعر قلق ومثنوى « گلزارنسيم » ومثنوى « بدر منير » لمير حسن ومثنويات « بهار عشق » و« زهر عشق » و« قريب عشق » لشوق اللكنوى .

ويعد المثنوى انسب صنف شعرى لبيان الوقائع والأحداث المسلسلة والطويلة فى

(١) شمس الدين الرازى : المعجم فى معايير أشعار العجم ص ٤١١ .

(٢) ادوارد براون : تاريخ الأدب فى إيران ( الترجمة العربية ) ج ٢ ص ٤٧ .

(٣) عبد الوهاب عزام « اوزان الشعر وقوافيه » مجلة كلية الآداب – جامعة القاهرة المجلد الأول . العدد الثانى .

الموضوعات التاريخية والأخلاقية والدينية والسياسية، وهو من الأصناف المحببة لدى حالي لأنه أكثر الأصناف الشعرية فائدة ونفعاً ويقبل فيه الالتزام بالقافية عن الأصناف الأخرى مثل الغزل والقصيدة والمسند وتركيب بند .

وقد ذكر حالي « في مقدمة شعر وشاعري » أن الشعر الأردى « لم يكتب فيه أى مثنوى طويل أو قصير فى موضوع التاريخ أو الأخلاق وغيرها من الموضوعات اللهم سوى بضعة مثنويات غرامية قصيرة وهى بعيدة جداً عن ذوق المجتمع ومقتضى هذا العصر، فالقصص التى كانت تذكر فى تلك المثنويات كانت مليئة بالغلو والمبالغة الزائدة عن الحد إلى جانب استحالة حدوثها فى الواقع وأن أحداثها خيالية .

ويرى حالي أن الشرط الأساسى لكتاب المثنوى هو إحداث التناسب فى ترتيب المصارع والابيات بحيث يستمر التطابق بين كل مصرع وآخر وكل بيت وآخر والا يحدث أى خلل فى المعنى ولكن لا يحتاج فى الفهم إلى المحذوفات والعبارات المقدره<sup>(١)</sup> .

وقد ظلت دائرة شعر المثنوى الأردى محدودة فقط بقصص الحب والعشق واستخدام شعراء المثنوى هذا الفن فى الوصف، وقد استفاد حالي من رحابة هذا الفن استفادة كاملة فى إظهار أفكاره الجديدة وجعله وسيلة للإصلاح الاجتماعى، حتى صار من الاعمال المجيدة فى الشعر الإردى التى يمتزج فيها المثل الأخلاقية بالحدائث كما قال السير سيد فى مجلة تهذيب الاخلاق فى ١ محرم ١٢٩٢هـ: « إن مثنويات حالي قد أثرت على قلوبنا وتعد قصيدته مثنوى « حب وطن » و« مناظرة رحم وأنصاف » التى نشرت فى جريدة « پنجابى أخبار » أحد مآثرنا فى الادب لبساطة الفاظها وصفاء أسلوبها وقوة خيالها فتدخل قلوبنا دون إرادة منا وهى مستساغة كالماء الزلال فكم هى جميلة فى بساطتها وصفائها وتركيب الفاظها وفى الطبع واللغة والأسلوب »<sup>(٢)</sup> .

وفى مثنوى « مناظرة رحم وإنصاف » أحيا حالي أسلوب المحاوره والأسلوب التمثيلى لبعض شعراء الفرس القدامى ونظم بهذه الطريقة عدة قصائد وكان هذا الأسلوب الجذاب المتمتع للتعالم الأخلاقية جديداً على المثنوى الأردى ويتوفر فى هذه المثنويات الخيال الشعرى بالإضافة إلى الاستدلال المنطقى وفى هذه المثنوية يجعل حالي الناس يحيطون بكل الجوانب الحقيقية والمفصلة لمسائل الحياة المختلفة بدلا من أن يعرض عليهم هذه

(١) حالي: مقدمة شعر وشاعري ص ١٦٧ - ١٦٨ .

(٢) افتخار صديقى: كليات نظم حالي، ج ١، ص ٥٥ .

المسائل بالإغراق فى المبالغة والتحليق فى فضاء الخيال الفسيح، فى مثنوى «تعصب وإنصاف» تحليل وتفصيل للتعصب وضيق الأفق وقله صواب رأى العلماء وضحالة تفكيرهم ووصف للسلوك والأخلاق القومية. وفى «مناظرة واعظ وشاعر» تحليل نفسى لكل من الواعظ والشاعر يمتزج فيه الصدق بالفكاهة وقل أن نجد مثيله فى اللغة والشعر الأردى وبعض هذه المثنويات تلتقى بسلسلة الأهداف الإصلاحية لحركة على گرطه وخاصة «كلمة حق» و«تعصب وإنصاف» التى يبذل فيها بوضوح شخصية السير سيد وفكره.

وقد أكد حالى فى مثنوياته على الاهتمام بقضايا المجتمع، كما حاول جاهداً إصلاح هذا الفن فى كتابه «مقدمة شعر وشاعرى» واقترح الحلول بعد أن شخص أسباب تدهور هذا الفن وحاول حالى أن يستفيد منه فى عرض أهدافه الإصلاحية المختلفة. ويقول بابورام سكسينه «اشتهرت مثنويات حالى حتى أنها دخلت ضمن المقررات الدراسية فى بعض الجامعات لخلوها من المحسنات البديعية واللفظية والبعد عن التكلف والتصنع والمبالغة ولصفاء عباراتها وتتضمن هذه المثنويات التعاليم الأخلاقية بأسلوب مؤثر جذاب.

ويعد مثنوى «مناجات بيوه» من المثنويات الهامة التى نظمها حالى لمهمة إصلاحية تتعلق بوضع الأرملة فى المجتمع الهندى وخاصة الأرملة الصغيرة التى توفى زوجها فقد كانت تعتبر مصدر شؤم لدى الجميع ولا يقبل أحد الزواج منها لذا دعا حالى إلى نبذ هذه التقاليد السيئة وحض المسلمين على الزواج من الأرملة، وفيما يلى نموذج من هذا المثنوى يمثل مناجاه هذه الأرملة لله تعالى<sup>(١)</sup>:

... يا من أنت الأول والآخر	والحاضر والناظر فى كل مكان وزمان
أنت فوق كل ذى علم علیم	وأقوى من كل الأقوياء
يا من أسمى وأرفع من كل شى	ارفع من القمر، ومن الشمس، ومن السماء

۱ - اے سب سے اول اور آخر	جہاں تھان حاضر اور ناظر
- اے سب داناؤں سے دانا	سارے تواناؤں سے توانا
- اے بالاہر بالاتر سے	چاند سے سورج سے امیر سے =

والمعلوم بدون سؤال  
يا من أنت غائب عن العيون ونور للقلب  
وسند للأعرج والمشلول  
وصديق من فقدوا أحبائهم  
ومانح الصبر والسلوان في الألم والحزن  
الجميع منك لا ندلك  
ورائحتك تتضوع في الأزهار والشمار  
أنت القريب ومكانك بعيد  
واسمك كالعصا للسالك  
وعون للمتألمين  
وحارس لكل وحيد

- أنت المعروف بلا معرفه  
- أنت الفريد وأنت البديع  
- أنت نجم لعين العمى  
- أنت مربى الصغار  
- أنت مسير سفينة العالم  
- ليس قبلك ولا بعدك أحد  
- جمالك يتجلى في البحار والقفار  
- مقامك في كل قلب  
- طريقك صعب وضيق  
- أنت ملجئ للفقراء والمساكين  
- وأنت يا الهى ضياء للبيت المظلم

### ۳ - القصيدة:

القصيدة في الشعر الأردى عبارة عن مجموعة أبيات تصل إلى أكثر من مائة بيت متحدة في الوزن والرديف ويتحد الرديف في شطرى البيت الأول ثم يتحد مع بقية

جانے پہ جانے بن بوجھے  
آنکھ سے اوجھل دل کے اُجالے  
لے لنگر طے لولوں کے سہارے  
ساتھیوں سے بچھڑوں کے ساتھی  
دکھ میں نسلی دینے والے  
تجھ سے ہیں سب تجھ سانہین کوئی  
باس ہے تیری پھول اور پھل میں  
تو پاس اور گھر دور ہے تیرا  
نام ترا رہ گئے کسی لکڑی  
تو ہے اندھیرے کھر کا اُجالا

= ۱۔ سمجھے بوجھے بن سوجھے  
- سب سے آنوکھے سب سے نرالے  
- لے اندھوں کی آنکھ کے تارے  
- ناتیوں سے چھوڑوں کے نانی  
- ناؤ جھان کی کھینے والے  
- جب، اب، تب، تجھ سانہین کوئی  
- جوت ہے تیرا سیرا  
- راہ تیری دشوار اور سکرٹی  
- تو ہے تھکانا مسکینوں کا  
- تو ہے اکیلوں کا رکھوالا

(حالی: کلیات نظم حالی: ۵/۲ - ۶)

الآبيات فى رديف الشطر الثانى ويسمى البيت الأول مطلع، والقصيدة لا تختلف عن الغزل من ناحية الشكل إلا أن عدد أبيات الغزل لا تزيد عن أحد عشر بيتاً، أما القصيدة فهى لا تقل عن هذا العدد وقد تصل إلى مائة وخمسين بيتاً، أما من ناحية المضمون فموضوعات القصيدة تشتمل على المدح أو النصحية أو الهجاء<sup>(١)</sup>.

ويرى شبلى النعمانى أن جمال القصيدة يكمن فى شروط ثلاثة هى :

١ - حسن المطلع : أى جمال البيت الأول من القصيدة وقوته .

٢ - التخلص : ذكر المدوح بطريقة إيهامية تبدو وكأنها عفوية غير مقصودة بحيث يفهم القارئ أن الشاعر يقصد فى مدحه شخصاً معيناً .

٣ - خاتمة القصيدة : التى يجب أن تنتهى نهاية قوية وطبيعية<sup>(٢)</sup> .

ونظم حالى قصائد شعرية كثيرة فى قالب « القصيدة » سواء كان فى صورة « قطعة » أو « تركيب بند » أو « مسدس » ونظم حالى أكثر هذه القصائد فى الحفلات الخاصة أو فى التهئة والشكر والمدح .

ونظم حالى سبع قصائد كاملة وقصيدة واحدة ناقصة وهى فى مدح السير سيد ونظمها عام ١٨٧٧م<sup>(٣)</sup> . وقد جمع الدكتور افتخار صديقى هذه القصائد الثمان فى كليات نظم حالى المجلد الأول<sup>(٤)</sup> .

وكان الشعراء لا يقبلون على هذا الفن فى الشعر الأردى كما لم يكن العامة يفضلونه ولكن عندما ننظر إلى قصائد حالى نراها دليلاً على عظمة شاعريته واجتهاده الفنى وأن الجانب الممتع فى دراسة هذه القصائد هو أنها مليئة بالإخلاص والصدق فكان حالى يميل إلى البساطة ولذلك قلب الموازين والقواعد الموروثة التى تقوم عليها القصيدة رأساً على عقب وكان حالى الشاعر الوحيد بعد سعدى الشيرازى - فى تاريخ الشعر الفارسى والأردى الذى امتد قرابة ألف عام - الذى كانت قصائده مبنية على الإخلاص والصدق والبساطة فى عرض الأفكار بدلاً من المحسنات اللفظية والمبالغة .

(١) قادر بخش قادرى : گلستان سخن . ج ١ . ص ١٧٣ - ١٧٤ .

(٢) شبلى النعمانى : شعر المعجم . ج ٥ ص ١ .

(٣) افتخار صديقى : كليات نظم حالى ، ج ١ ، ص ٢٦٨ .

(٤) افتخار صديقى : المرجع السابق ، ص ٢٥٥ - ٢٨٢ .

وفى الوقت الذى كان بعض أساتذة الشعر فى عصر حالى يمدحون الحكام والامراء فى مملكتى حيدر آباد ورام پور طبقاً لتقاليد البلاط القديم نجد حالى يجعل موضوع القصيدة فى الخدمات القومية والوطنية التى يقوم بها هؤلاء الحكم دون التقيد بالتقاليد السابقة، فكانت القصيدة التى نظمها حالى عام ١٨٧٤م<sup>(١)</sup> فى مدح كلب على خان والى رام پور ومدح اعماله القومية الرائدة هى أول قصيدة من الطراز الحديث خالية من جميع أنواع المبالغة فى تصوير المدوح، وبعد ذلك أخذت قصائده فى التعمق فى الصدق ونظم قصيدة<sup>(٢)</sup> بمناسبة الاحتفال بالعيد الخمسينى لنظام حيدر آباد وفيها سرد لتفاصيل أعماله الشخصية وأعمال الصالح العام وقد ألقاها فى حضور مولوى عبد الحق وقال حالى فى بدايتها «أنا لا أمدح شخصاً بدون أساس ولا اتركسب بالمدح وأفضل تصوير الوقائع الحقيقية الصحيحة من بدايتها لنهايتها»<sup>(٣)</sup>. وهذا القول شاهد على مذهب حالى فى نظم القصيدة.

ونخلص من هذا أن قصائد حالى السياسية والمدحية فى المرحلة الأولى من نظمه (فيما عدا القصائد المطلوبة منه فى المناسبات العامة والخاصة) تتسم بالصدق والإخلاص فى كل أبيات القصيدة كما أن العاطفة الفطرية هى المتحركة فى كلمات القصيدة وكان هذه العاطفة هى التى أجبرته على الثناء على المدوح وأعماله بلا تصنع أو تكلف كما هو الحال فى القصيدة التى مدح حالى بها خدمات مولانا ظفر على خان القومية وهو فى السابعة عشرة من عمره.

وقد قدم حالى اقتراحاته لإصلاح هذا الفن الشعرى فى مقدمة شعر وشاعرى<sup>(٤)</sup>

(١) حالى : كليات نظم حالى ج ١ ص ٢٦٥ .

(٢) حالى : المرجع السابق . ج ١ . ص ٢٧٠ .

(٣) حالى : مکتوبات حالى . ج ١ . ص ٥٩ .

(٤) حالى : مقدمة شعر وشاعرى ص ١٥٢ - ١٥٣ .

جهورٲ كربهٲٲكا هوا اكه كاروان آئه هيس هم  
سخت عبرت خيزليه كرداستان آئه هيس هم  
له كه اس كامزده فصل خزان آئه هيس هم  
آج اس در براس كه نوحه خوان آئه هيس هم  
جستجوئى اس كي مشعل له كه يار آئه هيس هم  
اس له ٲدالنه گلنه ميں جهوليان آئه هيس هم  
ذلتين به كر كه سب خاطر نشان آئه هيس هم =

دٲ هوندٲ هه خصر مبارك به كو بيان آئه هيس هم  
دٲ ر به جو خوش دل هيس وه سن كرنه پزمرده دل  
هند مين اسلام كا بهولا پهلا تها جو چمن  
علم جوزنده كيا تها آب كه اجداد نه  
قوم كهو بيٲهى هه جو عباسيون كي بادگار  
ناكه بو معلوم سب كو قوم كى كى حالت هه كيا  
خود غرض نهرائين يا مكار پم كو ياكندا

وسوف نتناول هذه الاقتراحات فى الفصل الثالث من الباب الثانى .

وتعد «قصيدة صدك گدايان قوم» أى «صوت متسولى القوم» التى نظمها حالى سنة ۱۸۹۳م من القصائد الرائدة ذات موضوع قومى ونظمها حالى للإشادة بأعمال رئيس ولاية بهاول پور فىقول:

– هكذا جئنا إلى هذا المكان لنقتفى آثار أقدام سيدنا الخضر المبارك، وقد جئنا هنا تاركين ورائنا القافلة تائهة .

– ونخاف ألا يشعر السعداء بالضيق والجمود بعد سماع هذا، لقد جئنا إليكم بقصة شديدة العبرة .

– جئنا إليك بخبر حلول فصل الخريف، فى حديقة الإسلام التى نمت وازدهرت فى الهند .

– جئنا اليوم على بابك لثرى، العلم الذى أحياء أجدادك .

– لقد فقد القوم مآثر العباسيين، لذى جئنا الآن نبحت عن الشعلة .

– جئنا هنا (فى ملابس الفقراء) وأكياس جمع الخيرات معلقة فى أعناقنا، لكى يعرف الجميع ما آل إليه القوم .

– جئنا هنا ونحن نشعر بهذا الهوان بكافة صورة، سواء يعتبروننا أنانيين أو يحسبوننا من الماكرين أو الشحاذين .

– جئنا هنا وقد مسحنا جميع آثار العز والفخار، فلا فخر واعتزاز لanas قومهم فى المهانة والمذلة .

– لقد حشرنا هنا كضیوف لم توجه إليهم الدعوة، فبنى هاشم يضرب بهم المثل فى تكريم الضيف .

– جئنا إليك بلسان القوم الجاف فى أفواهنا، فیا من أنت مثل ماء الحياة عليك أن تطفئنا ظمئنا .

فخرو عزت کے مٹا کر سب نشاں آئے ہیں ہم  
اس لے بل بن بلائے مہمان آئے ہیں ہم  
لے کے منہ میں قوم کے سوکھی زبان آئے ہیں ہم

= فخر سب بے جا ہیں ان کے، قوم ہے جن کی ذلیل  
ہے بنی ہاشم کی مہمان پروری ضرب المثل  
تشنگی اپنی بجھانی ہوگی لے آب حیات

ويُقصد بالرثاء في الشعر الأردى عمومًا، رثاء شهداء كربلاء وخاصة رثاء أهل البيت النبوى الشريف، أما ميدان الرثاء الشخصى ورثاء الشخصيات القومية والوطنية فكان خاليًا قبل حالى .

وعلى الرغم من أن حالى كان معترفًا بالمهارة الفنية لشعراء المراثى، لكنه كان يعتبر موضوعها الشعرى<sup>(١)</sup> ضيقًا ومحدودًا برثاء واقعة كربلاء فقط. ويقترح حالى لهذا الفن علاجًا للخروج من محدودية موضوعاته فيقول: «الشاعر الذى هو لسان حال القوم يجب عليه عندما يصدّم هو أو أسرته أو قومه بموت أحد الأشخاص أن يصور هذه الحالة الشعورية المؤلمة المفجعة عن طريق الشعر<sup>(٢)</sup> وكانت بداية محاولات حالى الإصلاحية فى الشعر الأردى بعد الندوات الشعرية الجديدة التى كانت تقام فى لاهور، لكن فن الرثاء هو الفن الوحيد الذى قدم حالى نماذج جيدة له قبل هذه الندوات الجديدة ففى سنة ١٨٦٩ نظم حالى نموذجًا للمراثية الجديدة فى الشعر الأردى وتعد من الروائع الاولية للمراثية ونظمها حالى فى رثاء أستاذه المحبب لديه مرزا غالب وتشتمل على عشر فقرات «بند» فى كل فقرة عشرة أبيات وتمتزج فيها العاطفة الداخلية بالصنعة الفنية والموسيقا الحزينة إلى جانب التوازن والإنسجام. ومرثية غالب<sup>(٣)</sup> لا تحاكي مثل فنه وشخصيته ويندر وجود رثاء شخصى بهذه الدرجة من الروعة فى الشعر الفارسى وكان حالى يحق شاعر الرثاء القومى، ويتوقف نجاح المراثية فى الرثاء الشخصى أيضا على الإحساس بالالم والحزن الشخصى إلى جانب الإحساس بالخسارة لفقد هذا الشخص، ولذلك لم تكن مرثية غالب وحكيم محمود خان رثاء<sup>(٤)</sup> لشخص فقط، بل رثاء للحضارة المغولية ولثقافة دهلى العظيمة<sup>(٥)</sup>.

وقد قام الدكتور افتخار صديقي فى كليات نظم حالى<sup>(٦)</sup> بجمع سبع مرثى لحالى، فى حين أن الدكتور شجاعت على سنديلوى فى كتابه «حالى يحيث شاعر» يذكر

(١) افتخار صديقى: كليات نظم حالى، ص ٥٢.

(٢) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ١٥٤ - ١٥٥.

(٣) افتخار صديقى: كليات نظم حالى، ج١، ص ٣٢٧.

(٤) المرجع السابق ٣٣٧.

(٥) المرجع السابق ص ٥٢، ٥٣.

(٦) المرجع السابق ص ٣٢٧.

أن (١) عدد المراثى التى نظمها حالى هى خمس فقط ولم يذكر مرثية «نوحه قيصره هند» و«سرسيد كے دورفيق» الذى ذكرهما الشيخ محمد أسماعيل پانى پتى فى كتابه «جواهرات حالى» .

وقد تأثر حالى بالمراثى العربية إلى حد كبير فى محاولة إصلاح هذا الفن فى الشعر الأردى .

٥- القطعة: تعتبر القطعة جزء من الغزل أو القصيدة ولا يقل عدد أبياتها عن بيتين وليس لها تحديد معين لعدد أبياتها، ولا من الضرورى أن يكون أول مصرعين متفقين فى القافية، ولا بد أن يتقيد بالقافية فى أبياتها» (٢) .

«والقطعة كما يبدو من اسمها عبارة عن قطعة من قصيدة كاملة انفصلت عنها لسبب من الأسباب وقد تكون أيضا جزءاً من قصيدة لم يقدر لها أن تكتمل، كما قد تكون وحدة قائمة بذاتها أنشأها الشاعر من البداية ليصوغ فيها غرضاً من الأغراض» (٣) .

و«القطعة فى الأدب الأردى عبارة عن مجموعة من الأبيات يتراوح عددها بين ستة وأحد عشر بيتاً وقد تصل إلى بيتين وهى أصغر قطعة وقد نشأ هذا الفن فى الشعر الأردى متأثراً بالشعر الفارسى فى الشكل والمضمون، لكن القطعة الأردية لم تنل منزلة مثيلاتها فى الشعر الفارسى - لارتباطها بالمدح والتهنئة والحفلات الخاصة فى حين أن القطعة فى الشعر الفارسى قد اكتسبت معانى سياسية واجتماعية واصلاحية» (٤) .

ويوجد فى ديوان حالى ثلاثة أنواع من القطع علاوة على شعر الغزل الذى نظمه حالى فى قالب «قطعة بند» وهذه القطع هى :

أ - جمع حالى (٦٧) قطعة فى أول الديوان تحت عناوين مختلفة .

ب - القطع المتفرقة التى نظمها حالى فى المدح والشكر والتى ادرجت مع القصائد والاشعار الأخرى .

(١) شجاعت على سنديلوى : حالى بحيث شاعر ص ٢٢٧ .

(٢) رام بابو سكسينه : تاريخ ادب اردو ص ٣٣ .

(٣) ادوارد براون : تاريخ الادب فى إيران، ترجمة إبراهيم أمين الشواربى ص ٤٧ .

(٤) قادر بخش قادرى : گلستان سخن ج ١٠ ص ١٧٧ .

ج- القطع التي نظمها حالي في التاريخ (القطععات التاريخية) والتي طلبها منه الأشخاص وطبعت في آخر الديوان تحت عنوان «أشعار متفرقة» وبعض هذه القطع نظمها حالي في الحفلات الخاصة ولم يرتبها في الديوان وقد قام الدكتور افتخار صديقي في كليات نظم حالي بترتيب هذه القطع<sup>(١)</sup> في موضوعاتها، قطع في النقد والسياسة والأخلاق والاجتماع وفي السخرية.

ولم تكن هناك أهمية تذكر لنظم «القطعة» قبل حالي في الشعر الأردني فقد كانت القطعة تستخدم في مناسبات التهئة أو المعذرة أو القطعة التاريخية وأحيانا تستخدم «قطعة بند» في الغزل. وقد جعل حالي من فن القطعة وسيلة لإظهار اصلاحاته الهامة واعطاها نوعاً من الإستقلالية والمنزلة الخاصة وافسح لها مكان الصدارة في ديوانه وشملت قطع حالي جميع أغراض الحياة فنظمها في اصلاح الشعر وفي النقد الأدبي والسياسة والأخلاق وابداء النصيحة لوطنه ولقومه.

٦- الرباعية «فن شعري يتكون من بيتين (أربعة مصارع) يتشابه المصراع الأول والثاني والرابع في القافية والروى ويختلف عنها المصراع الثالث، ويجب أن تكون كلماتها وقوافيها ومعانيها محكمة وسلسة وخالية من التكرار والحشو والتأخير والتقديم، ويستحسن فيها المقابلة والتضاد والجناس<sup>(٢)</sup>».

وقد تحدث شبلي النعماني في كتابه «شعر العجم» عن الرباعية ورواد هذا الفن الشعري وتناول هذا الفن من الناحية التاريخية ولكنه لم يحدد لها مصطلح خاص بها، وتناول عمر الخيام ورباعياته بالتفصيل من الناحية الفلسفية والأخلاقية وذكر أن الخيام قد قام بالتجديد في أسلوب الرباعية<sup>(٣)</sup>.

وكانت الرباعية في الشعر الأردني تنظم عموماً لاطهار المقدره على النظم وملء الفراغات فحسب حتى أكسبها شعراء الرثاء وخاصة ميرانييس معايير سامية وكان ذلك الفن عند شعراء الفرس القدامى خاصاً بموضوعات المعرفة المختلفة من فلسفة وأخلاق.

وقد أودع حالي الرباعية سره في آخر أيام حياته بسبب اختصارها لبيان أهدافه

(١) افتخار صديقي: كليات نظم حالي ج١، ص ١٧٣ - ٢١٥.

(٢) شمس الدين الرازي: المعجم في معايير اشعار العجم. ص ٣٨٨.

(٣) شبلي النعماني: شعر المعجم، ج١، ص ٢٢٥-٢٤٥.

الإصلاحية ببساطة ويسر وقد بث حالى الروح فى رباعيات الفكاهة والسخرية وقد جعل حالى الرباعيات القديمة والجديدة فى ديوانه كلها على حدة ونشرت سلسلة رباعياته فى آواخر أيامه وبعد نشر الديوان بعد ما قلت عنده الرغبة فى نظم الشعر<sup>(١)</sup>.

وفى سنة ١٩٣٥م نشر الشيخ محمد اسماعيل بانى پتى «رباعيات حالى»، وفى سنة ١٩٦٨م رتب الدكتور افتخار صديقى رباعيات حالى معتمداً على ما ورد منها فى «ديوان حالى» و«رباعيات حالى» وقد احصاها بـ ١٦٠ رباعية وقسمها إلى ثلاث مراحل طبقاً للترتيب الزمنى وهى<sup>(٢)</sup>:

أ - الرباعيات التى نظمها حالى من سنة ١٨٦٣ حتى ١٨٧٢م وعددها ٧.

ب - الرباعيات التى نظمها حالى من عام ١٨٧٢ حتى ١٨٩٣م وعددها ١٠١.

ج - الرباعيات التى نظمها حالى من عام ١٨٩٣م حتى ١٩١٤م وعددها ٥٢.

وذكر الدكتور شجاعت على سنديلوى فى كتابه<sup>(٣)</sup> حالى بحديث شاعر «أن عدد رباعيات حالى ١٠٣ رباعية، ١٥٠ منها فى كليات نظم حالى المجلد الأول ترتيب الشيخ إسماعيل بانى پتى والثلاث رباعيات الأخرى قالها حالى فى خدمة النواب محسن الملك.

(١) افتخار صديقى: كليات نظم حالى، ج١، ص ٤٩.

(٢) افتخار صديقى: المرجع السابق من ص ٢١٦ حتى ٢٥٢.

(٣) شجاعت على سنديلوى: حالى بحديث شاعر ص ٢٣٤.

## ثقافة حالي

### ١ - الثقافة العربية والفارسية :

تنوعت ثقافة حالي طبقا لتعدد مصادرها المختلفة فقد كان عارفا ببعض لغات الهند المحلية وآدابها إلي جانب لغته الأصلية اللغة الأردية والذي كان أحد أعلام أدبها البارزين، وكان يتقن اللغة الفارسية التي كانت آنذاك لغة خاصة المثقفين فضلا عن كونها لغة الدواوين الحكومية إبان حكم الإمبراطورية المغولية للهند، كما تعلم حالي اللغة العربية منذ صغره وحفظ بها القرآن الكريم وقرأ كتب الفقه والتفسير والنحو والصرف المختلفة علي شيوخ عصره .

وكانت هذه المرحلة من حياة حالي الممتدة منذ ولادته حتى قبيل اندلاع ثورة التحرير عام ١٨٥٧م تتسم بالثقافة الإسلامية الخالصة والتي ألتهم لنظم الشعر وكتابة المقالات باللغة الأردية والعربية والفارسية وكان من أشد المدافعين عن هذه الثقافة حتى أنه كتب « مقدمة شعر وشاعري » من أجل إقامة علم النقد في الشعر الإسلامي علي أساس أخلاقي ولأول مرة في الأردية وذلك بتأثير الثقافة الإسلامية .

وكان حالي قد بدأ في حفظ القرآن الكريم وهو في الرابعة من عمره علي عادة أهل عصره فيقول: « في البداية حفظوني القرآن الكريم .. ثم تشوقت لدراسة اللغة العربية، وما هي إلا أيام قليلة حتى جاء مولوي حاجي إبراهيم حسين الأنصاري من لكتناؤ بعد أن نال إجازة الإمامة فقرأت عليه النحو والصرف العربي (١) وأتم حالي حفظ القرآن علي يد مولوي ممتاز حسين وكان من علماء بانبي پت وواصل حالي اطلاعه علي الثقافة العربية أيضا عندما ذهب إلي دهلي قرابة سنة ونصف وقرأت علي مولوي نوازش علي بعض الكتب في النحو والصرف وبعض الكتب الأولية في المنطق (٢) . ودرس حالي في هذه الفترة في مدرسة « حسين بخش » وتمكن من إتقان اللغة العربية حقه أنه كتب أول رسالة له بها وهي في تأييد نواب صديق حسن خان وعندما عرضها علي أستاذه نوازش علي قام بتمزيقها لأنها مخالفة لمذهب الحنفي . وقد نقل خواجه غلام الثقلين في إحدى

(١) حالي : ترجمة حالي ص ٣٣٤ .

(٢) حالي : المرجع السابق . نفس الصفحة .

مقالاته هذا القول الذي اعترف به أستاذ حالي وهو أنه ، علي الرغم من أن الرسالة كانت قد كتبت بعناية فائقة غير أنها كانت في تأييد أحد الوهابيين لهذا خرقتها» (١).

وفي هذا اعتراف بجدة الرسالة التي كتبها حالي باللغة العربية في هذا السن المبكرة فلم يكن قد تجاوز العشرين من عمره بعد ، وبعد ذلك ترجم حالي كتابا في علم طبقات الأرض من العربية إلي الأردية وذلك في سنة ١٨٦٨ م.

وكان حالي واسع الثقافة غدير المعرفة قرأ علي مشاهير عصره فيقول في ترجمته في أثناء إقامته في پاني بت بعد فشل الثورة « كنت أقرأ في هذه الفترة علي مشاهير پاني بت وعلمائها مثل مولوي عبدالرحمن ومولوي محب الله ومولوي قلندر علي بعض الكتب بدون ترتيب أو نظام فأحيانا في المنطق والفلسفة وأحيانا في الحديث والتفسير وكنت أقرأ بنفسي الكتب التي لم أقرأها من قبل خاصة عندما لا يكون أحد هؤلاء العلماء في پاني بت وبصفة خاصة كتب علم الادب التي كنت كثيراً ما أنظر إليها بمساعدة المعاجم والشروح وأحيانا كنت أكتب نثراً وأنظم شعراً بالعربية بدون أي إصلاح أو نصيحة. (٢) ويعترف الدكتور غلام مصطفى خان بثقافة حالي فيقول : « قام حالي بأعمال كثيرة أثناء إقامته بلاهور فقد انقضي من عمره خمسة وثلاثون عاما وصاحب النضج العقل هذا نضج عملي وعلمي بصورة جيدة ولم يكن الشعر والنثر العربي والفارسي والأردني مجرد تدريب فقط بل ظهرت استاذيته بمهارة فائقة» (٣).

وقد نظم حالي عدة قصائد باللغة العربية وأول هذه القصائد نظمها حالي عام ١٨٦٧ م وهي القصيدة البائية في مدح شاه عبدالغني (المتوفي عام ١٢٩٥ هـ) ومطلعا :-

هوي الحور بلوي كل حبر ونادب      وفتنة قسيس وزلة راهب

وفي هذ القصيدة التي يمدح فيها شاه عبدالغني يهب منها نسيم الصحراء العربية وقد بدأها بطريقة جذابة لطيفة ولكن حالي انصرف عن النظم باللغة العربية بعد ذلك بسبب مرضه ومع ذلك يوجد في قصائد العربية طريقة الشعراء العرب وخصوصيات

(١) حالي : كليات نظم حالي ج ١ . ص ٦ .

(٢) حالي : ترجمة حالي . ص ٣٣٦ .

(٣) غلام مصطفى خان : حالي كاذهني ارتقا ص ٢٩ - ٣٠ .

القصيدة العربية ففيها يظهر باضطراب ديار سلمي وحادثات الدهر وغيرها من الموضوعات التي يتناولها الشاعر العربي في قصيدته. (١) وأرسل حالي قصيدته إلي الشاه عبدالغني في المدينة المنورة فأعجبته و«استحسنها بعض أدباء المدينة المنورة لما فيها من البراعة والفصاحة» (٢).

وكان حالي ملماً بثقافة عربية واسعة وكان مغرمًا بالشعر العربي وأعجب بشعر المراثي خاصة حتي أنه طلب من مولوي حكيم محمد وحيد الدين أن ينظم قصيدة في رثاء مسلمي الهند حتي ينهضوا من حالة التأخر والجمود فنظم قصيدة طويلة في مائة وسبعة عشر بيتاً باللغة العربية وألقاها علي حالي فسعد بها وطلب منه أن يطبعها فوراً فوافق بشرط أن يقوم حالي بترجمة القصيدة إلي اللغة الأردنية نثراً ونشرت القصيدة والترجمة الأردنية في كتاب واحد في رمضان ١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م ومطلع هذه القصيدة التي يعارض بها قصيدة أبي البقاء الرندي في رثاء الأندلس:-

هل من سبيل إلي وصل الألي بانوا      بيني وبينهم بيد وقيعان  
أو للزمان رجوع بالوصال إذا      كانت له كالرحي في الدور أحيان (٣)

وبالإضافة الي هذه الترجمة النثرية للقصيدة العربية التي تدل علي تمكن حالي من اللغة العربية والتي نظم بها شعراً وكتب بها نثراً وترجم منها إلي اللغة الأردنية كتاباً في علم طبقات الأرض وترجم الأشعار العربية إلي الأردية مثل ترجمته لعدة أشعار من نظم الإمام علي بن أبي طالب يحكي فيها أحداث الهجرة النبوية من مكة إلي المدينة وأثبت حالي بهذه الأبيات التي ترجمها له في ٣٠ نوفمبر ١٨٨٦م عدم تعصبه ضد المذهب الشيعي ومطلع هذه القصيدة:

وقيت بنفسي خير من وطىء الحصبي      ومن طاف بالبيت العتيق وبالبحجر  
رسول الله خاف أن يمحروا به      فنجاه وفي حفظ الإله وفي ستر.

وكان حالي واسع الثقافة كثير الاصلاح علي الكتب العربية في النقد والأدب والشعر

(١) حالي : كليات نظم حالي . ج ١ ، ص ٥٠١ .

(٢) غلام مصطفي خان : حالي كاذهني ارتقا : ص ٢٨ - ٢٩ .

(٣) حالي : ضميمه كلام عربي ، ضمن كليات نظم حالي . ج ٢ ، ص ٣٥٤ - ٣٣٥ .

وقد تأثر حالي بهذه الكتب كثيراً في صياغة أول كتب في النقد الأردني يتحدث عن محاسن الشعر ونقده وهو كتاب «مقدمة شعر وشاعري». كما استخدم حالي كثيراً من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة والأمثال العربية والأقوال الماثورة في كثير مما يدل علي تشعب ثقافة حالي العربية الإسلامية.

وبالإضافة إلي اللغة العربية كان حالي يتقن اللغة الفارسية التي كانت لغة الثقافة في عصره ولا غني عنها لأي مثقف آنذاك ويقول حالي: «بدأت أقرأ علي سيد جعفر بعض الكتب الفارسية الأولية وكان يقيم باني بت وله اليد الطولي في الطب والتاريخ وفي الأدب الفارسي وفي صحبته نشأت بيني وبين الأدب الفارسي علاقة من نوع خاص»<sup>(١)</sup>.

وقرأ حالي بعد ذلك كتب الأدب وتذاكر الشعراء الفرس ودواوين حافظ وسعدي وتأثر «ببوسان» و«گلستان» سعدي والذي كتب عنه كتاب «حيات سعدي» بالأردنية وقام فيه بشرح أشعاره وبيان مواطن جمالها المختلفة وكتب حالي عدة كتب في النحو والصرف الفارسي فيقول «كتب بعض الكتب في قواعد اللغة الفارسية»<sup>(٢)</sup> ومن هذه الكتب علي سبيل المثال «أصول فارسي» و«آل نامه» ولكنه لم يكمل الأخير وهو تجربة جديدة في اللغة الأردية كان يضيف «آل» التعريف علي الكلمة الفارسية ليخلق منها معني جديداً علي سبيل السخرية والنقد. وقد تمكن حالي من اللغة الفارسية وأتقن نحوها وصرفها ويبدو ذلك جلياً في نظمه لبعض الأشعار الفارسية والمناقشات التي كانت تدور بينه وبين أستاذه غالب علي شرح بعض أشعار ديوانه الفارسي وهذا ليس غريباً علي مثقف وأديب وشاعر مثل حالي فقد كانت اللغة الفارسية هي لغة البلاط المغولي ولغة المثقفين ورجال العلم فضلاً عن كونها لغة الشعر والأدب قبل اتجاه الشعراء الهنود لتنظم الشعر بالأردية.

وكتب حالي موضوعات متعددة في النثر الفارسي وكذلك نظم شعراً بالفارسية يقول حالي: «يوجد لي شعر فارسي كثير.. وكان آخر شعري بالفارسية قصيدة في قالب «تركيب بند» نظمتها في عام ١٩٨٩م في رثاء سير سيد أحمد خان<sup>(٣)</sup> وقد اعتنى حالي بما كتبه ونظمه باللغة العربية والفارسية وقام بترتيبه في آخر حياته وطبعت بعد

(١) حالي: ترجمة حالي. ص ٣٣٤.

(٢) حالي: كليات نثر حالي. ج ١ ص ٣٤٣.

(٣) حالي: ترجمة حالي. ص ٣٤٣.

وفاته في أغسطس ١٩١٤م باسم «ضميمة» أوردو كليات نظم» (١) كما قام بنشر وتصحيح كتاب «سفر نامه حكيم خسرو». وكل هذا يدل علي ثقافة حالي العربية الإسلامية الأصيلة ومعرفته للغات والآداب الإسلامية متمثلا في اللغة العربية والفارسية وآدابهما، وعقيدته ورسوله الكريم مثل «ترياق مسموم» وغيرهما من كتب المستشرقين والمبشرين فضلا عن المقالات التي كانت تنشر له من حين لآخر في الجرائد والمجلات المختلفة في جميع أنحاء شبه القارة الهندية في موضوعات إسلامية مختلفة.

## ٢ - الثقافة الانجليزية :

أخذت الثقافة والحضارة الغربية في التغلغل في شبه القارة الهندية مع بداية عصر الكشوف الجغرافية لسواحل الهند وبدأ الهنود يطلعون ولأول مرة علي هذه الثقافة الجديدة والتي لم يتعد تأثيرها عن بعض الحصون والثغور علي شواطئ الهند ولم تتسلل هذه الثقافة إلي مدن وأقاليم شبه القارة الداخلية نظراً لسيطرة الثقافة الإسلامية علي بلاط المغول، ولكن مع نهاية القرن الثامن عشر بدأت الأمبراطورية المغولية في الانهيار واحتلت بريطانيا معظم مدن الهند وأقاليمها وبدأت بنشر الثقافة الانجليزية وفتحت المدارس المختلفة لتنفيذ هذا الغرض وكانت مهمة نشر هذه الثقافة موكلة إلي اللورد ميكالي الذي اجتهد كثيراً في نشر الثقافة الغربية بين المسلمين خاصة. وكانت هذه الفترة بداية حضارة جديدة ونهاية حضارة قديمة وازداد الصراع بين القديم والحديث وبين التراث والمعاصرة وأنشأ الانجليز كلية «دهلي كالج» لتدريس العلوم العصرية.

وكان حالي ينفر من تعلم هذه اللغة لأنها كانت لغة المستعمر الذي قضى علي الدولة الإسلامية في الهند ويملك حالي حالي سبب كراهيته للغة الانجليزية وعدم رغبته في تعلمها فيقول: «علي الرغم من أن دهلي كالج القديمة كانت في أوجها إلا أنه في المجتمع الذي نشأت فيه «يقصد بلده پاني پت» كان يعتبر العلم منحصرًا فقط في اللغة العربية والفارسية وفي البداية لم أسمع في مكان ما ذكرا للتعليم الانجليزي وبصفة خاصة في پاني پت وأن الفكرة التي لدي بعض الناس عنه بسبب خدمة الحاكم الانجليزي فقط ولم أحصل أي علم من هذا التعليم الانجليزي فقد كان علماؤنا يطلقون علي

(١) حالي : كليات نثر حالي . ح ١ ص ٣٤٣ .

- حالي : كليات نظم حالي . ح ١ ص ١٥ .

المدارس الإنجليزية اسم «المجهلة» أي مكان الجهل» (١) وقد ظل حالي علي مبدئه هذا من النفور من اللغة الإنجليزية ومن الذي يتعلمها طوال فترة إقامته في پاني پت وحتى في المرحلة الأولى من إقامته في دهلي بعد رحيله إليها لإكمال تعليمه وقد إختار أيضا المدارس التقليدية فاختر «مدرسة حسين بخش» الواقعة بجوار مسجد دهلي الجامع وكان يقيم فيها أيضا .

ويصف حالي حياته في دهلي فيقول : بعد ما وصلت إلي دهلي وفي المدرسة التي كنت أقيم فيها ليلا ونهاراً، كان الناس هناك يعتبرون جميع الطلبة والمدرسين الذين تعلموا في الكلية مجرد جهلة، المهم لم أفكر في التعليم الإنجليزي وبقيت في دهلي لمدة عام ونصف وفي هذه الفترة لم أذهب لرؤية هذه الكلية ولم ألتق بالطلبة الذين كانوا يدرسون فيها في ذلك الوقت أمثال مولوي ذكاء الله، مولوي نذير أحمد، ومولوي محمد حسين آزاد وغيرهم (٢).

وظل حالي علي هذا الوضع من تجاهله للغة الإنجليزية وآدابها حتي توفي مصطفى خان شيفته سنة ١٨٦٩م وكان حالي مقيماً عنده في جهانگیر آباد ويقوم بالتدريس لأولاده فترك حالي جهانگیر آباد ورحل إلي لاهور ويصف حالي ذلك بقول : «بعد وفاة شيفته وجدت وظيفة في المكتبة الحكومية في البنجاب «لاهور» وكان عملي فيها هو تصحيح العبارات الأردية في الكتب الأردية المترجمة عن اللغة الإنجليزية وبقيت في هذا العمل في لاهور قرابة أربع سنوات وبدأت تنشأ بيني وبين الأدب الإنجليزي علاقة وبالتدريج بدأ يقل عندني التقدير للأدب الفارسي بصفة خاصة والآداب الشرقية بصفة خاصة والآداب الشرقية بصفة عامة» (٣).

وكان لهذه الوظيفة الجديدة دخل كبير في تغيير اتجاه حياة حالي وتفكيره فقد اطلع علي الأدب الإنجليزي المترجم وظل يمارس هذا العمل نحو أربعة أعوام وبهذه القدرة العجيبة أكمل نقص عدم القدرة علي قراءة اللغة الإنجليزية ووقف حالي علي كثير من معاني وموضوعات كتب اللغة والأدب الإنجليزي واطلع حالي علي كتب كثيرة في اللغة الإنجليزية وآدابها والآن فقط بدأ تظهر عليه كثير من الأفكار والمواهب التي كانت دفينه

(١) حالي : ترجمة حالي : ص ٣٣٥ .

(٢) حالي : ترجمة حالي : ص ٣٣٥ .

(٣) حالي : المرجع السابق : ص ٣٣٩ .

في أعماق عقله وتفكيره لم يستطع أن يبرزها بشكل واضح، واتضح له حقائق كثيرة بدراسة الأدب الإنجليزي ويعترف حالي بأن قراءته لكتب الأدب والنقد الإنجليزي فتحت عينيه علي حقائق كثيرة وقضايا في الأدب والحياة وعرف أن الأدب وسيلة لخدمة الإنسان والمجتمع وليس مجرد متعة وقتية، وعرف بذلك المكانة الصحيحة للأدب وكيفية خدمة المجتمع بطرق عديدة وتزايد هذا التأثير تدريجياً يوماً بعد يوم وبدأت ميوله تتحول تجاه الأدب الإنجليزي كما تأثر باللغة الإنجليزية ولذلك كان يستخدم في نشره ألفاظاً إنجليزية بدون تكلف واستعمل بعضها أيضاً في الشعر<sup>(١)</sup>.

ورغم ذلك ظلت معرفة حالي واطلاعه علي الثقافة الغربية محصوراً في دائرة اطلاعه علي الكتب الإنجليزية المترجمة إلي الأردية وذلك بحكم عمله في مكتبة جامعة البنجاب، بالإضافة إلي تأثيره ببعض مفردات اللغة الإنجليزية نتيجة اختلاطه بالسير سيد وملازمته إبادة واستعمل حالي كذلك الكلمات التي كانت تتردد علي ألسنة المثقفين في ذلك الوقت ومنهم رفاق السيرسيد والمؤيدين لحركته ومنهم بصفة خاصة نذير أحمد ومحمد حسين آزاد.

واحتفظ حالي بثقافته الشرقية الإسلامية ولم ينجرف في تيار ثقافة الغرب مثل أغلب رفاق السيرسيد، وعلي الرغم من أن أشعار حالي الجديدة تلتقي مع الشعر الغربي في كثير من الصفات لكنه لم يزعم قط أنه يستطيع تقليد الشعر الغربي بشكل كامل وقد اشتهر حالي بنظمه أشعاراً علي الطريقة الجديدة في الشعر الأردية إلا أن خصائص هذا الشعر الجديد كانت تقوم في أكثرها علي قواعد الشعر القديم ولم يبد فيها تقليده ومحاكاته بل يتجلي فيها اجتهاده وفرديته وشخصيته المميزة<sup>(٢)</sup> وقد اعترف حالي بهذا الأمر في مقدمة مجموعة نظم حالي فيقول: «لم أكن أعرف قواعد الشعر الغربي في ذلك الوقت (أثناء إقامته بلاهور) ولا أعرفها الآن وأري أن لغة نامية مثل الأردية لا تستطيع أن تحاكي الشعر الغربي وتقلده بطريقة كاملة وكل ما هنالك أنني كنت بطبيعتي أنفر من المبالغة والإغراق في الخيال، وليس في شعري ما يدل علي تقليدي للشعر الإنجليزي والخروج علي الشعر القديم<sup>(٣)</sup> وفي قول حالي هذا رد مقنع علي من حاول أن يعزو التجديد في شعر حالي ومحاولته لكتابة كتاب في نقد الشعر وإحداثه

(١) صالحه عابد حسين: يادگار الي. ص ٣٩

(٢) صالحه عابد حسين: يادگار حالي. ص ٢٣٩.

(٣) حالي: كليات نظم حالي. ج ١، ص ٥٣.

تغيرات جذرية في فنون الشعر الأردني من ناحيتي الشكل والمضمون إلي تأثره باللغة الإنجليزية وآدابها وشعرائها ونقادها، والحق أن حالي قد اعترف أكثر من مرة<sup>(١)</sup> بأنه لا يعرف اللغة الإنجليزية ولذلك كان كثيراً ما يخطئ في استعمالها الصحيح ومما يدل أيضاً علي ثقافة حالي الإسلامية واهتمامه بآدابها الأردنية والفارسية والعربية محاولته لكتابة كتاب في نقد هذه الآداب وهو «مقدمة شعر وشاعري» وما امتلأت به هذه المقدمة من قصص وأمثلة وشواهد شعرية عربية وفارسية ما يؤكد علي صدق كلامنا وهو أن الثقافة الإسلامية راسخة متأصلة في فكر حالي وثقافته.

---

(١) حالي : كليات نثر حالي: ج٢، ص ١٢١، ٢٣٨، ٢٦٨.

## شخصية حالي

تميزت شخصية حالي بالبساطة والتواضع الشديد والتمسك بتعاليم الدين الحنيف ونبذ البدع والخرافات وقد حفظ القرآن الكريم وهو في الرابعة من عمره واطلع علي كثير من الكتب الدينية في الفقه والشريعة وعلم الحديث وقد أثرت هذه الثقافة الدينية في شخصية حالي فكان محباً للخير، راغباً في الإصلاح، يتفاني في عمله لخدمة الجميع صغيراً وكبيراً وكان يتأثر سريعاً بالأحداث التي تدور حوله في المجمع الهندي في ذلك الوقت فتجيش قريحته بالقصائد المؤثرة والمقالات القوية.

وهناك شخصيات عديدة أثرت في شخصية حالي وفي شعره وفي طريقة تفكيره وأهم هذه الشخصيات هي :

### ١ - ميرزا أسد الله غالب :

وهو أستاذ حالي الذي تتلمذ في قرض الشعر علي يديه وكان حالي كثيراً ما يفخر بذلك وغالب هو أمير شعراء الأردية علي الإطلاق وقد تأثر حالي كثيراً بأسلوب وطريقة شعره وتعلم منه أسرار القريض، يقول حالي في ترجمته : « في الوقت الذي كنت أذهب فيه إلي دهلي كنت كثيراً ما أختلف إلي مرزا أسد الله خان غالب لأسأله عن معاني أشعار ديوانه الفارسي والأردني والتي لم أكن أفهمها وكنت أقرأ عليه بعض القصائد الفارسية من ديوانه وكان من عاداته منع أكثر المترددين عليه في التفكير في نظم الشعر ولكن بالنسبة لي عندما كنت أنظم غزلية فارسية أو أردية وأعرضها عليه كان لي : « مع أنني لا أشير علي أحد بالتفكير في نظم الشعر إلا أنني أعتقد بالنسبة لك إذا لم تقل الشعر فإنك سوف تظلم نفسك ظلماً عظيماً (١) . وهذا اعتراف من حالي بتلمذته في الشعر علي يد غالب لكنه مع ذلك لم يتأثر بشخصيته ولم يؤثر شخصية غالب فيه، ففي الوقت الذي كان فيه غالب صديقاً وأستاذاً لحالي وتوثقت عري الصداقة بينهما وكان حالي في مرحلة شبابه والتي تغلب عليها الاتجاه الديني وكان يتضايق كثيراً عندما يري أستاذه يواظب علي شرب الخمر ورغم شيخوخته وأحياناً ينسي الصلاة، فتألم حالي لذلك وكتب له عدة رسائل يحثه فيها علي ضرورة إقامة الصلاة ويقول له : « التزم

(١) حالي : ترجمة حالي ص ٣٣٧ .

بالمحافظة علي الصلوات الخمس بقدر ما تستطيع واقفاً أو جالساً أو بالإشارة وإن لم تستطع الوضوء فتيماً صعيداً طيباً لكن لا تترك الصلاة « وقد وصل لغالب في هذه الفترة مئات الخطابات تتهمه بالكفر وكان بعضها يصل الي حد الشباب ولم يحفل غالب بها ولكنه صدم وتأثر بخطاب تلميذه حالي وأبدي حزنه وألمه .

وفي اليوم التالي أرسل لحالي قصيدة غزل يشتكي من هذه النصيحة فأرسل له حالي قصيدة علي سبيل الاعتذار بيدي فيها ندمه وأسفه وقبل غالب اعتذاره فقد كانت شكوي غالب من حالي مبنية علي الحب والتقدير واعترف حالي بخطئه وهذا من شيم كرام الناس وأعزاء النفوس (١)، وقد ذكر حالي هذه الواقعة بالتفصيل في كتابه « يا دگار غالب » الذي كتبه وفاء لذكرى أستاذه بين فيه حياته وشرح شعره وأظهر محاسنه .

## ٢ - نواب مصطفى خان شيفته :

وهو من الشخصيات التي تركت بصماتها واضحة في شخصية حالي وقد تأثر حالي به كثيراً وكان شيفته من الشخصيات الكبيرة وهو شاعر وأديب صنف تذكرة في حياة شعراء الأردية هي « گلشن بے خار » وتقابل حالي بشيفته بعد الثورة وفي عام ١٨٦٣م ويقول حالي في ترجمته (بعد الثورة التقيت بمصطفى خان شيفته رئيس دهلي وجهانگیر آباد وكان شاعراً من الطبقة الأولى ومتذوقاً جيداً للشعر تخلص بشيفته في الأردية وبحسرتي في الفارسية فتعارفنا وتصاحبنا وبقيت عنده ثمانى سنوات، وكان شيفته يعرض أشعاره على مؤمن خان وبعد وفاته كان يتناقش مع مرزا غالب . وبذهابي إلى هناك عنده بدأت أتشوق للشعر والنثر القديم وقد كنت لفترة حزيناً فصرت نضراً مسروراً ومال طبعي لنظم الشعر مشبوباً بالرغبة والعاطفة حتى صقلت قريحتي بصحبته وفي ذلك الوقت نظمت معظم الغزليات الفارسية والأردية عند نواب مصطفى خان شيفته وكنت أرسل أشعاري إلى ميرزا غالب وأنا عنده في جهانگیر آباد، وفي الحقيقة لم أستفد كثيراً من نصائح مرزا غالب بالقدر الذي استفدته من مصاحبة شيفته فقد كان يكره المبالغة في الشعر ويعتبر أن أجود الشعر ما يعبر عن الواقع بصدق وبساطة والتزام بحسن العرض وتجنب الألفاظ السوقية الدنيئة والأفكار والعبارات العامية» (٢).

(١) حالي : المرجع السابق ص ٣٦-٣٨ .

قام حالي بجمع رسائل نواب مصطفى خان شيفته وبجهوده صارت في كتاب (انظر : خليل الرحمن داوودی - مقدمته على یادگار غالب ص ٢٩ .

(٢) حالي : ترجمة حالي ص ٣٣٧-٣٣٨ .

وهذا اعتراف من حالى بتأثير شخصية شيفته عليه وعلى ذوقه الشعرى، وكان شيفته قد دعاه إلى جهانگیر آباد وسلم إليه مهمة تعليم أولاده وظل عنده ثمانية أعوام حتى توفي شيفته ۱۸۶۹م وكان حالى يتردد كثيراً إلى دهلى بصحبته ويتشاورا مع مرزا غالب<sup>(۱)</sup> وقد اعترف حالى بتأثير كل من غالب وشيفته على شخصية فى بيت شعر يقول:

حالى سخن مین شيفته سے مستفیض ہوں .: شاگرد میرزا کا مقلد ہوں  
میرکا<sup>(۲)</sup>.

### ۳ - السير سيد أحمد خان:

لم يتعد تأثير شيفته وغالب فى حالى عن الناحية الأدبية وقرض الشعر ولكن السير سيد أحمد خان أحدث تغيرات هائلة فى شخصية حالى فقد وجهه لأول مرة إلى الاهتمام بالقضايا الوطنية والقومية فى شعره وأن يجعل الشعر وسيلة لإصلاح المجتمع والنهوض بالمسلمين فى الهند وقد اعترف حالى بفضل السير سيد عليه فى ترجمته فيقول: «لقد شجعتنى السير سيد بنظم الشعر الذى يوضح حال الضعف والذل الراهنة للمسلمين فنظمت مسدس «مد وجزر إسلام» وأشعاراً أخرى<sup>(۳)</sup>. وكان عام ۱۸۷۱م هو بداية الروابط العقلية لحالى بالسير سيد أحمد خان وحركته والدليل على هذا فى موضع لحالى بعنوان «سيد أحمد خان أوران كے كام»<sup>(۴)</sup> أى سيد أحمد خان وعمله وقد نشر فى هذه السنة فى مجلة معهد على گڑھ وقد انحاز حالى إلى حركة گڑھ بشكل مستقل عام ۱۸۷۵م بعد وصوله إلى دهلى وبدأ يكتب فى مجلتى «تهذيب الاخلاق» و«مجلة معهد على گڑھ»، وفى هذه السنة وضع حالى أساس الشعر القومى بقصيدته «مباركباد»<sup>(۵)</sup> التى نظمها بمناسبة حفل افتتاح مدرسة العلوم بعلى گڑھ فى ۲۴ مايو ۱۸۷۵م<sup>(۶)</sup> وقد تأثر حالى كثيراً بلقاء السير سيد وبشخصيته القوية وسيرته العظيمة وهدفه السامى وأصبح حالى مع السير سيد قلباً وقالباً وأوقف كل نفس من سنوات عمره

(۱) الترجمة: لقد استفاد حالى كثيراً فى شعره بشيفته، وهو تلميذ غالب ومقلد المير (انظر: حالى: يادگار غالب ص ۲۰) و(بابورام سكسينه: تاريخ ادب ارد و ص ۳۰۷).

(۲) حالى: ترجمة حالى ص ۳۴۰.

(۳) حالى: ترجمة حالى ص ۳۴۰.

(۴) كلييات نثر حالى: ج ۱. ص ۳۴۹.

(۵) حالى: كلييات نظم حالى: ج ۱: ص ۲۹۰ و ص ۱۲.

(۶) غلام مصطفي خان: حالى كاذهنى ارتقا ص ۴۵.

لہذا الهدف وأمره بنظم المسدس الذى وضع فيه تدهور أحوال المسلمين والسبيل إلى النهوض بهم وقد تأثر السير سيد بقراءة مسدس حالى ووضع ذلك فى خطابه لى فى قول بأسلوب سلس ممتع: «لو أننى أقر بأن المسدس هو بداية تاريخ جديد فى فن الشعر الأردى لكان ذلك حقاً، فىأى صفاء وجمال وسلاسة نظم هذا الشعر الذى يفوق الوصف ومن العجيب حقاً أن هذا الموضوع الواقعى خال من المبالغة والكذب ومن التشبيهاً البعيدة عن التكلف وهو فخر للشعراء لأنه منظوم بطريقة مؤثرة وأسلوب واضح جميل، فلا تستطيع أن تقرأ فى المسدس بلا عين باكية، وصحيح أن الكلام الذى يخرج من القلب يستقر فى القلب، فلا شك أننى المحرك والدافع له على نظم المسدس وأعتبره من أعمالى الحسنة ولما يسألنى الله تعالى ماذا أحضرت؟

فإننى سأقول لقد جعلت حالى ينظم المسدس ولا شى غير ذلك (١).

وكان حالى من أشد المؤيدين لحركة گرٹھ ومن الشخصيات البارزة القريبة من السير سيد وقد كتب عدة (٢) مقالات حول حركته وجهوده الإصلاحية فضلاً عن كتاب «حيات جاويد» وهو فى حياة السير سيد وأعماله، وقد كان حالى من أقطاب الحركة التعليمية واشترك فى الندوات والمؤتمرات التى عقدت لبحث الحالة التعليمية للمسلمين فى الهند وشارك خاصة فى مؤتمر التعليم الإسلامى «محمد طن ايجوكيشنل كانفرانس» الذى أقامه السير سيد لدعوة المسلمين إلى الإقبال على تعلم العلوم الغربية ورأس الجلسة المنعقدة فى كراچى عام ١٩٠٧م (٣)، وكتب حالى قصيدة فى مدرسة العلوم التى أنشأها السير سيد وكان يسافر مع السير سيد فى أسفار بعيدة لجمع التبرعات لكلية على گرٹھ، ويوجه النصائح إلى طلابها (٤) وقد مدح حالى السير سيد بهذه القصيدة:

(١) من خطاب السير سيد لى بتاريخ ١٠ يونيه ١٨٧٩م ونشر هذا الخطاب فى مجلة على گرٹھ فى يناير ١٩٣٩م.

(٢) كليات نثر حالى: ١/٣٨٧، ٣٩٤، ٤٣٢، ٣٤٩، ٤٣٢، ٣٤٩، ٣٥٧-٣٥٨، ٣٨٤.

(٣) المرجع السابق ج٢، ٢/١٢١-١٤٨، ٤٩، ٧٣.

(٤) المرجع السابق ج٢-٢٨.

جو حال آج اپنا اور اپنى قسم كاهے  
خود سانپ ورنه بان سے كب كانكل گياہے  
دينون مين دين بيضا حق نے تمہين دياہے  
ہادى ہے وہ تمہارا جو ختم انبيا ہے  
جس نے شريعتون كوشير وشكر كيا ہے  
دوران سدا موافق تم سے نہين رہا ہے =

- پنہان نہين ہے باروسب پر كہلاموا  
- ہے اكل كير باقى جس پرفقير هيس ہم  
- اس پر ہي اے عزيزوا ہے جاك فخر تم كو  
- قبلہ ہے وہ تمہارا جو گھر ہے سب سے پھلا  
- دى ہے وہ مصلح كل حق نے كتاب تم كو  
- بخش تمہين حكومت حكمت تمہين عطا كى

- الحالة التي نحن فيها والأوضاع التي يمر بها قومنا، ليست في خفاء يا أصدقاء بل الجميع يعرفونها.
- فهناك أثر خط نحن متمسكين به، أما الحية فقد مرت من ذلك المكان منذ زمن بعيد.
- ومع هذا كله أيها الأصدقاء فمن مبعث فخركم، أن الله تعالى منحكم ديناً نقياً أبيضاً من بين الأديان.
- وأن قبلكم هي أول بيت (من بيوت الله)، ورسولكم الهادي هو خاتم الأنبياء.
- منحكم الحكومة واعطاكم الحكمة، لكن لم يبق الزمن في حقكم دائماً.
- وعندما ساءت حالتكم في الفترة الأخيرة، أقام هاشمياً بينكم مصلحاً.
- يريد الازدهار للقوم في هذا العالم، مع أن القوم قد أفتوا بكفره.
- فقد ضحى بكل ما لديه، من وقته وعمله وروحه وماله لأصدقائه.
- القوم يهجمون عليه وهو درعهم الواقى، والناس يسيئون به الظن وهو يضحى بنفسه من أجلهم
- فقدم الكثير من ماله وقلمه وكفاحه، فمن ذا الذي يستطيع أن يفعل مثلما فعل.
- لم نسمع ولم نر أحداً مثله بين حماة القوم، فقد ورث هذا الألم عن جده.
- وهو الذي أسس لكم تعليمكم، الذي بلغ في جميع أنحاء العالم.
- فقولوا من أنجز عملاً (مثل هذا) بعد القرون الأولى، يضارع ما أنجزه السير سيد من الأعمال للقوم<sup>(١)</sup>.

اکہا شمی تمہارا مصلح کھڑا کیا ہے  
فتون سے قوم کی گوکافر ٹھہر چکا ہے  
بارون یہ جس نے سب کچھ قربان کر دیا ہے  
قوم اس سے بد گمان ہے وہ قوم پرفدا ہے  
جو کچھ کیا ہے اس نے وہ کس سے ہوسکا ہے  
یہ درس اس کو جد کی میراث میں ملا ہے  
ملکون میں جس کا چرچا ہر سمت ہو رہا ہے  
سید نے کام آکر جو قوم میں کیا ہے

= اس دور آخری میں جب یوں بگڑ چلے تم  
سر سبز چاہتا ہے جو قوم کو جہان میں  
وقت اپنا کام اپنا جان اپنی مال اپنا  
واراس پہ قوم کے ہیں وہ قوم کی سپرہے  
درہم سے اور قلم سے دم سے قد سے اپنے  
ہمدرد قوم ایسا ہم نے سنانہ دیکھا  
تعلیم کی تمہاری بنیاداں سے دطالی  
بعد از قرون اولی کس نے کیا بتاؤ  
(١) حالی: کلیات نظم حالی: ١/٢٦٨۔

وعندما مات السير سيد رثاه حالي رثاءً حاراً بهذه القصيدة الفارسية:

- يا لهفى من هذا السهم الصائب الذى أطلقوه من قوس (الموت)، ويا حسرتاه على الجرح الذى ترك القوم بين الحياه والموت.
- ويا عجباً على رحيل فرد من أفراد البشر، لقد تركوا العالم فى حالة ظن وترقب ليوم القيامة.
- ويا للعجب على موت رجل شيخ أكله الدهر، لقد أشاعوا الاضطراب والفتن بين الصغار والشباب والشيخوخ.
- فيا عجيبى على هذا الحزن المحرق على وفاة أحد المسلمين، لقد أضرمو النار فى نفوس الرجال من كل مذهب.
- قد كان السيد أحمد خان فى قومه كالنقود فى المحفظه، فبقيت المحفظه خاويه وأخذوا المال من بيننا.
- لقد ضاع من يد القوم كنز المجد والعلا، ثم دفنوا هذا الكنز فى التراب بعد ذلك.
- لا أمل أن يحل ربيع جديداً آخر فى حديقة القوم، فقد اختاروا لها الخريف الدائم.
- وكأنهم قد انتهوا بغارتهم علينا للأبد، فصبوا هذه المصيبة على رأس المسلمين.
- وأصبح أهل الدين بلا معين ولم يبق للدين من ينصره، وأوصلوا ندائهم هذا إلى جميع أرجاء الهند.
- لقد رحل وأخذ معه رونق مجتمع المسلمين، فضعفت الملة بموته ومات الإسلام بموته<sup>(١)</sup>.

آه كزيك زخم قومى نيم جان انداختند  
عالمى را از قيامت در گمان انداختند  
تاب وتب در كودك وپير وجوان انداختند  
مردم هر كيش را آتش بجان انداختند  
كيمه خالى مانده ونقد از ميان انداختند  
بعد از ان كاين گنج را در خاكدان انداختند  
بعد از و طرح خزان جاودان انداختند  
كاين مصيبت برسرا سلاميات انداختند  
هر گه اين آوازه درهند وستان انداختند  
ملت از مرگش بيزمرد و مسلماني ببرد

(١) آه ازین نیرگزرا راکز کمان انداختند  
- ای عجب کز زحمت فردی زافرادی بشر  
- ای عجب کز مردن یک پیر مرد سال خورد  
- ای عجب کز سوز آندوه وفات مسلمی  
- سید اندر قوم نقدی بودا ندر کیسه  
- قوم را سرمایه مجد و علا از دست رفت  
- نوبهار آید در باغ قوم، امید نیست  
- تا قیامت گونی از تاراج ما فارغ شدند  
- أهل دین بی یاور و دین بی کس و بی یار ماند  
- رفت و باخود رونق بزم مسلمانی ببرد

وعلى الرغم من وجود وجهاء عظماء كثيرين فى دائرة نفوذ السير سيد أحمد خان إلا وأن وضع حالى وسيرته كانت أسمى وأرفع من باقى رفاقه<sup>(١)</sup>، وقد اعترف السير بذلك فى إحدى خطبه، حيث يقول: «يجب علينا أن نشكر الله تعالى وأن نفخر بأن مثل هذا الشخص (حالى) موجود بيننا، وعندما يقال فى الأزمنة القادمة من فخر الشعراء والقوم والعلماء والمرشدين والمصلحين ومنقذ الأمة سيقال على الفور إنه الطاف حسين حالى»<sup>(٢)</sup>.

وقد ظل حالى فى تأييده للسير سيد أحمد خان وحركته ولكنه لم يوافق على آرائه الدينية بصفة خاصة بعد تزايد المعارضين لها فى أنحاء الهند المختلفة، وكان حالى قد اختلف مع السير سيد حول تفسيره لبعض آيات القرآن لكنه لم يكن اختلافاً عميقاً، حتى أن حالى حاول بإخلاص أن يبعد سوء الفهم عن أفكاره الدينية وعرض لها بصدق فى مقالة «سير سيد أحمد خان اور مذهب»<sup>(٣)</sup>. أى السير سيد والدين، وكرر هذه المحاولة أيضاً فى كتابه «حيات جاويد» وهو سيرة السيد سيد أحمد خان<sup>(٤)</sup>.

وقد بارك حالى حركة السير سيد التعليمية وسلم بدورها البارز فى تقدم المسلمين فى الهند.

وكانت فلسفة حالى فى تقليد الغرب والغلب من فيض علومه قائمة على المثل العربى الذى كان كثيراً ما يردده حتى فى نقد الشعر وهو «دع ماكدر وخذ ما صفا» فعلى الرغم من اعترافه بجمود العلوم القديمة إلا أنه لم يرفضها كلها بل كان يدعو إلى الاستفادة من العلوم الجديدة بالقدر النافع الذى يحفظ على المسلمين تقاليدهم ودينهم، لذلك نرى هذه الوسطية والاعتدال فى فكر حالى بصورة واضحة فلم ينجرف تماماً إلى حركة على كرتهم على حساب الحركات الإصلاحية الأخرى بل كان حالى ينشد الإصلاح باى صورة ويغض النظر عن هؤلاء الأشخاص الذين يقومون بهذا الإصلاح، لذلك أيد حالى «ندوة العلماء» وكتب مقالاً عن نظام التعليم فى المدارس العربية عام ١٣١١هـ/ ١٨٩٤م

(١) محمد إكرام: موج كوثر. ص ١٢٣.

(٢) صاحبة عابد حسين: بادگار حالى ص ٥٩-٦٠.

- حالى: كليات نظم حالى: ج١ ص ٦٦.

(٣) حالى: كليات نثر حالى ج١ ص ٣٨٧.

(٤) حالى: حيات جاويد ص ٩٣، ٩٤، ٩٥.

ولكنه لم يلقيه بنفسه لمرضه<sup>(١)</sup>. ونظم قصيدة بمناسبة تأسيس دار العلوم لندوة العلماء عام ١٩٠٨م<sup>(٢)</sup> نوه فيها بفضل التعليم الدينى وساند دعوة ندوة العلماء وبأهدافها الإصلاحية على الرغم من أنها كانت معارضة لحركة على غرطه وخاصة من الناحية الدينية وأيد حالى أيضاً جمعية المحافظة على الإسلام «أنجمن حمايت إسلام وألقى قصيدة للتنبؤ بأعمالها فى خدمة الإسلام»<sup>(٣)</sup>.

وامتاز حالى بحماسة وحميته الدينية ولذلك نراه يرد بقوة على المبشر، عماد الدين ويكتب سلسلة من الكتب فى الرد عليه وهى «ترياق مسموم» و«شواهد الإلهام» و«تاريخ محمدى برمنصفانه رائس» وكان حالى يميل إلى أفكار شاه ولى الله الدينية وأولاده من بعده وقد كان سنياً كما يبدو من مقالاته التى كتبها فى الدين الإسلامى والعقيدة الحنيفة التى لم يخالف فيها أهل السنة والجماعة، وكان يكره التعصب الدينى، وتميز بالهدوء والتسامح سواء مع أهل بيته أو مع من حاول التطاول عليه بالنقد والتجريح، ومن النادر أن يرد على الذين ينقدون أو يعارضونه وكان يحترم معارضيه وينفر من الكبر والغرور والزهو والتعالى على الناس وكانت له علاقات طيبة وصادقات من الشيعة والشيخ والهندوس وغيرهم. وحالى دقيق الشعور مرهف الحس سليم الذوق كريم الطبع، متواضع دمث الخلق كثير الإنصاف لمعاصريه وكان يكره الشهرة وحب الظهور ولذلك عندما قررت الحكومة منحه لقب شمس العلماء عام ١٩٠٤م تقديراً لخدماته الجليلة ودون سعى منه واحتفل بهذه المناسبة فى جميع الدوائر العلمية والأدبية وانهالت عليه سيل خطابات التهئة ومن ضمنها خطاب مولانا شبلى نعمانى الذى يقول فيه «أنا أهنتك أنت ولكن أهنيء لقب شمس العلماء فقد نال هذا اللقب الشرف والعزة بك» نرى حالى يضطرب لذلك ويرتبك ويبين ذلك فى خطاب لابنه خواجه سجاد حسين فيقول: «بالرغم من أننى قد نلت هذا التقدير من قبل الحكومة وهذا شىء عظيم إلا أننى اعتبره نقمة وأنت تعلم أننى لم التق بأى حاكم أو ضابط وكنت دائماً بمعزل عن مثل هذه المناسبات لكن الآن عندما سيأتى أى حاكم إقليم فى پانى پت أو يتغير نائب حاكم المديرية فلا مفر من أننى سأذهب للقائه»<sup>(٤)</sup>. وهذا الخطاب يعكس

(١) حالى: كليات نشر حالى: ٢/٣٤-٤٧.

(٢) حالى: كليات نظم حالى: ج١ ص ٣١٦-١١٨.

(٣) حالى: كليات نظم حالى: ج٢ ص ٢٧٩-٢٨٧.

(٤) صاحبة عابد حسين: يادگار حالى ص ٦١-٦٢.

طبيعة حالى التى تنفر من حب الظهور والشهرة .

وكان حالى متواضعاً إلى أبعد درجة ولم يحاول أن ينسب لنفسه أياً من الإصلاحات العظيمة التى قام بها فى الأدب الأردى أو الإصلاحات الاجتماعية فى المجتمع الهندى فعلى الرغم من أنه قام بإصلاحات كثيرة فى الشعر خاصة ورااد حركة التجديد وقد اعترف بذلك النقاد إلا أنه ينسب هذا التجديد لمحمد حسين آزاد واعترف أكثر من مرة خاصة فى ديباجة مجموعة نظم حالى بأنه لم يفعل أى شىء جديد يستحق الذكر!! . وأن الشعر الجديد خارج عن نطاق قدرته، وكان كثيراً ما يشير إلى السير سيد بأنه أبو الأدب الأردى مع العلم أن حالى قدم للأدب الأردى أضعاف ما قدمه السير سيد وخاصة فى الشعر وفن التراجم . ويقول الشيخ محمد إكرام: «إن المثقفين يعرفون جيداً أن دور «مسدس حالى» فى نهضة المسلمين فى شبه القارة الهندية لا يقل بأى حال عن كلية على كرتهد لكن طبيعة حالى المنطوية كانت تأبى أن تقر بهذه الحقيقة»<sup>(١)</sup> . وعندما نشر مسدس حالى وذاعت شهرته فى أكناف الهند وأطرافها نرى حالى يكتب فى مقدمة الطبعة السابعة للمسدس: «على الرغم من أن نشر هذا الشعر لم يفد المجتمع بفائدة عظيمة» وهذه هى طبيعة حالى المتواضعة التى كانت دائماً تفضل البقاء فى الظل والبقاء فى الصفوف الخلفية لأنه كان يكره أضواء الشهرة .

وتأثرت شخصية حالى أثناء إقامته فى دهلى بكل من شيفته وحكيم محمود خان وحكيم أجمل خان الذين كانوا يتميزون بالخصال الملائكية والسير النقية الطاهرة وكانوا أفضل مثال للمثل الإسلامية وتطبيق الشريعة الإسلامية فى حياتهم اليومية وكانوا نموذجاً صحيحاً لحياة الصحابة الكرام لكن لم يكن لأحد منهم ميزة التفانى فى خدمة القوم مثل حالى .

ولم تكن معاناة حالى وصدقه فى شعره نتيجة لاتباعه أى مدرسة أدبية معينة بل انعكاساً لقريحته الشعرية الفريدة، وكان حالى من أسرة فقيرة وعمل موظفاً صغيراً عند نواب مصطفى خان شيفته لكنه كان له شأن عظيم فى النهاية يقول سيد محمود: «إذا سألنى الله سبحانه وتعالى يوم القيامة من الناس قابلته وهياً قلبك للعبادة، فإنى سأجيب فوراً بأنه «الطاف حسين حالى» . ويقول خواجه غلام الثقلين: «إن حالى كان صاحب طبيعة صوفية»<sup>(٢)</sup> .

(١) محمد إكرام: موج كوثر ص ١٢٤ .

(٢) محمد إكرام: موج كوثر ص ١٢٧-١٢٨ .

ولم تكن فى شخصية حالى الهيبة والمكانة العالية والكفاءة الإدارية مثل السير سيد لكنه كان يتفوق عليه فى إخلاصه ومعاناته القومية فكان حالى خادماً القوم الذى يقوم دائماً بالأعمال الشاقة بنفسه ويبدل قصارى جهده ولكنه كان يهرب من تلقى الجزاء بل وكلمات الشكر، وعلى حد قول خواجه غلام السيرين: « كانت حلقة أصدقاء ورفاق السير سيد تشتمل على كبار المشاهير وعليه القوم لكن كانت سيرة حالى أسمى من الجميع وكانت سيرته سامية نقية وقد انعكست هذه الصفات فى كتاباته النثرية والشعرية ». وأعمال حالى وحدة تعادل كلية على كثره ولكن السذج والبسطاء من الناس لم يقدروه حق قدره أما الذين لا يتأثرون بالأعمال الظاهرية فيعرفون جيداً أهمية حالى والدور الذى قام به فى إيقاظ ونهضة المسلمين يتساوى معه فى ذلك السير سيد ومحسن الملك ويقول إقبال عن حالى والسير سيد :

آن لاله صحرا كه خزان ديد وبيفسرد      سيد دگراورامى ازا شك سحر داد  
حالى زنوا هاى چگرسوزنيا سود      تالاله شبنم زده راداغ چگرداد<sup>(١)</sup>

وقد ظلت الفكرة الشائعة بالنسبة لشعر حالى وشخصيته أنه كان رفيق السير سيد وأنه صدى لأفكاره وترجمان لعظمة المسلمين الضائعة، ويحاول البعض منهم سيد احتشام حسين التقليل من شأن حالى والقول بأن مؤلفاته كانت بتوجيه من السير سيد مثل « مسدس حالى » و« حيات جاويد » وكان حالى متفق تماماً فى كل مسألة مع السير سيد ولكن هناك حقيقة لا يجب أن نتغاضى عنها وهى أن حالى الشخص وحالى الشاعر كليهما يحمل خاصية منفردة والتي منبعها الأصيل هو التأثير والتأثر فى أفكاره وتصوراتهِ وليس منبعها الآخرين وإذا قارنا بين أفكار حالى وأفكار السير سيد السياسية نستطيع أن نقول إنه على الرغم من أن حالى تصدى لشرح أفكار السير سيد ولكن لم يكن ينظر إلى هذه الأفكار من وجهة نظر السير سيد بل من وجهة نظره هو فمثلاً هناك اختلاف واضح بينهما فى الأمور الدينية وآراءهما حول التعليم وخاصة تعليم المرأة كما اختلفا فى العمل الاقتصادى والسياسى<sup>(٢)</sup>.

(١) أن تلك الشقائق الصحراوية التى أدركها الحريف فذبلت .: ها قد أعادها ( سيد ) للحياة ورواها بادمع السحر ولم يتوقف حالى عن إصدار اناته المتضرعه ( المحرقة للكبد ) .: حتى تنبعث حرارة الانفاس فى الشقائق التى أصابها البلل.

(٢) معين أحسن جذبى: حالى كاسياسى شعور ص ١٥-١٧.

ولعل فلسفة حالى ونظرتة الثاقبة للحياة تنضح جيداً فى هذا المصرع من بيت شعر له  
« در مع الدهر كيف داره<sup>(١)</sup> واتباعه لسياسة الامر الواقع ومسايرة التيار - إلى حين -  
وعدم الوقوف فى وجهه حتى لا ينجرف معه .

---

(١) جس رخ زمانه بهرے اسى رخ بهر جاو .  
(انظر: غلاف مقدمه شعر وشاعرى).